

البعد الوطني في رسائل الأديب المقدسي خليل السكاكيني إلى ابنه ١٩٣١-١٩٣٧

الدكتورة بنان محمد حسين صلاح الدين
جامعة القدس - كلية الآداب - قسم اللغة العربية - فلسطين
bsalaheddin@staff.alquds.edu

**The national dimension in Khalil al-Sakakini's letters to
his son Sari 1931-1937**

Prof. Banan Mohammad Hussein Salah Aldeen
Jerusalem University- Palestine
College of Arts - Department of Arabic Language and Literature

Abstract:

This research represents an attempt to study the national dimension in the letters of the writer Al-Maqdisi Khalil Sakakini that he wrote to his son during his studies in the United States of America in the period between 1931-1937, due to the valuable information provided by these letters during an important period in the history of the Palestinian cause. This study dealt with five axes, the first axis represented Sakakini's foresight and early prediction of the Zionist threat, while the second axis dealt with his position toward the policy of the British mandate over Palestine and his work in government jobs. As for the third axis, he talked about the General Islamic Conference that was held in Jerusalem in 1931, while the fourth dealt with the Izz al-Din al-Qassam revolution. Finally, the fifth axis talked about the revolution of 1936.

Key words : Jerusalem , Khalil Alsakakini , Alsakakini's letters ..

الملخص :

يمثل هذا البحث محاولة لدراسة البعد الوطني في رسائل الأديب المقدسي خليل السكاكيني التي كتبها لابنه خلال دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين ١٩٣١-١٩٣٧، لما تقدمه هذه الرسائل من معلومات قيمة خلال فترة مهمة من تاريخ القضية الفلسطينية . وتناولت هذه الدراسة خمسة محاور، تمثل المحور الأول باستشراف السكاكيني وتنبئه المبكر بالخطر الصهيوني، بينما تناول المحور الثاني موقفه من سياسة الانتداب البريطاني على فلسطين وعمله في الوظائف الحكومية. أما المحور الثالث فتحدث عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عُقد في مدينة القدس عام ١٩٣١، بينما تناول الرابع ثورة عز الدين القسام. وأخيراً تحدث المحور الخامس عن ثورة عام ١٩٣٦.

الكلمات الدالة : القدس - خليل السكاكيني - رسائل السكاكيني .

المقدمة

جاء اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وإعلان الدولة العثمانية انضمامها إلى جانب كل من النمسا وألمانيا فرصة لبريطانيا لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية في المشرق العربي، والعمل على تجزئة المنطقة حتى تتمكن من فرض سيطرتها، وتوجت هذه السياسة بإبرام اتفاقية سايكس بيكو مع فرنسا عام ١٩١٦ التي قسمت المنطقة بموجبها ضمن نفوذ هاتين الدولتين، متكررة بذلك بريطانيا بما قطعت على نفسها للعرب من وعود بالاستقلال وفقاً لمراسلات الحسين مكماهون. واتبعت هذه الاتفاقية إصدار بريطانيا في ٢ تشرين ثاني ١٩١٧ لتصريح بلفور الذي نص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. فكانت هذه الاتفاقية مناهضة كلياً لتلك الاتفاقيات.

وعقب الاحتلال العسكري البريطاني لفلسطين أواخر عام ١٩١٧، أنشأت إدارة عسكرية استمرت حتى منتصف عام ١٩٢٠، نفذت خلالها بريطانيا سياستها تجاه تعهداتها بشأن التمهيد لتأسيس الوطن القومي اليهودي من خلال فتح أبواب الهجرة اليهودية وتشريع قوانين جديدة.

وفي عام ١٩٢٠ أقر مؤتمر سان ريمو مبدأ الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق والانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان. وبناء على ذلك أصدرت بريطانيا صك الانتداب على فلسطين، وغدا تصريح بلفور مادة من مواد هذا الصك.

بعد انتهاء الإدارة العسكرية في منتصف عام ١٩٢٠ أنشأت الحكومة البريطانية في فلسطين إدارة مدنية تولى رئاستها اليهودي البريطاني هربرت صموئيل كأول مندوب سام بريطاني على فلسطين، والذي كان من بين الشخصيات الرئيسية التي أسهمت في رسم السياسة المتعلقة بمستقبل فلسطين منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ وحتى نهاية فترة ولايته عام ١٩٢٥. فقد تمكن خلال فترة ولايته من إرساء دعائم فكرة الوطن القومي اليهودي خاصة في مجالي الهجرة والأراضي باعتبارهما عنصرين أساسيين لتدعيم تلك الفكرة. كما أخذ يعمل على التخطيط لإحكام السيطرة اليهودية على الموارد الاقتصادية في فلسطين من خلال منح المؤسسات الصهيونية للمشاريع والامتيازات الاقتصادية، ومنحهم العديد من المراكز والوظائف الحكومية المؤثرة والفعالية في حكومة الإدارة المدنية، حتى غدت الوكالة اليهودية دولة داخل دولة.

أدت السياسة البريطانية تجاه فلسطين ومحاباتها للصهيونية إلى خلق ردود فعل من قبل الفلسطينيين الذين قاموا بثورات متتالية احتجاجاً على تلك السياسة، بدءاً بثورة القدس في نيسان عام ١٩٢٠ أواخر عهد الإدارة العسكرية، ثم ثورة يافا عام ١٩٢١، فتورة البراق عام ١٩٢٩ التي أجبرت بريطانيا مؤقتاً للتراجع عن سياستها عبر لجان التحقيق التي أرسلتها لامتناس نقة الفلسطينيين، ثم تلى ذلك مظاهرات وانتفاضات خلال عام ١٩٣٣، ثم ثورة عز الدين القسام عام ١٩٣٥ التي مهدت لإعلان الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦. وعلى الرغم من قسوة سلطة الانتداب وانتقامها، إلّا أن الفلسطينيين أصرّوا على الاستمرار في المقاومة والتضحية والنضال ما جعل من هذه الثورة صفحة خالدة في تاريخ حركة النضال الوطني الفلسطيني. تلك هي الخطوط الرئيسية التي تحدث عنها السكاكيني عبر رسائله المختلفة لابنه.

سيرة السكاكيني وحياته

ولد خليل قسطندي السكاكيني في ٢٣ كانون الثاني ١٨٧٨م، في مدينة القدس، درس في مدرسة الروم الأرثوذكس ثم نقله والده إلى المدرسة الإنجليزية، وفيها تتلمذ على أستاذ الجيل المعلم نخله زريق^(١) الذي بث فيه وفي جيله حب اللغة العربية والروح الوطنية، وقد ظل خليل يذكره بالحب والإجلال طوال حياته^(٢).

أنهى السكاكيني دراسته في الكلية الإنجليزية عام ١٨٩٣ فأخذ بمزاولة مهنة التعليم في مدينة القدس، وفي عام ١٨٩٨ انضم إلى جمعية زهرة الآداب التي كان يرأسها آنذاك صديقه الحميم داود الصيداوي^(٣).

وفي أواخر عام ١٩٠٧ سافر السكاكيني إلى الولايات المتحدة الأمريكية للعمل فيها، غير أنه لم يوفق بسبب الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك، فعاد في أيلول عام ١٩٠٨ إلى مدينة القدس^(٤). حيث أخذ يشارك في تحرير مجلة الأصمعي الاجتماعية وكان يوقع مقالاته بكنية أبي الطيب المتنبي، وأخذ أيضاً يعمل في كتابة المقالات في جريدة القدس^(٥). وفي أواسط عام ١٩٠٩ أنشأ بمشاركة بعض أصدقائه المدرسة الدستورية^(٦). التي بقيت قائمة حتى عام ١٩١٩ حيث قرر السكاكيني إغلاقها، وبرر ذلك أنه لم يعد هناك حاجة إليها^(٧).

خاض السكاكيني صراعاً مريعاً مع البطريركية الأرثوذكسية في القدس منتقداً هيمنة رجال الدين اليونانيين عليها وإهمال حقوق أبناء الملة العرب أبناء الطائفة الأرثوذكسية، وهاجم نماذج الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والدينية التي كانت تفرضها الكنيسة الأرثوذكسية على أبناء الطائفة العرب ، ما دعا البطريرك الأرثوذكسي لاتخاذ قرار بحرمانه من دخول الكنيسة^(٨).

وفي ٤ كانون الأول ١٩١٧ اعتقلته السلطات العثمانية العثمانية بتهمة إيواء اليهودي الأمريكي والتر ليفين في بيته، فأقتيد إلى سجن الجامع المعلق بباب الجابية في دمشق^(٩). ولما لم تجد السلطات العثمانية ما يوجب بقاءه في السجن تقرر الإفراج عنه .

وبعد عودته إلى القدس التقى مع مدير المعارف البريطاني الميجر تدمن حيث عرض عليه أن يكون مديراً لمدرسة دار المعلمين فوافق على استلام إدارة مدرسة دار المعلمين في القدس مؤقتاً ليتسلم بعدها وظيفة مفتش عام في المدارس^(١٠). كما عين في الوقت نفسه عضواً في عمدة المدارس الذي جاء تشكيلها بناءً على طلب تقدمت به الجمعية الإسلامية المسيحية للحكومة^(١١).

وفي شهر حزيران ١٩٢٠ قدم السكاكيني استقالته من عمله احتجاجاً على تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً بريطانياً على فلسطين نظراً لأنه يهودي صهيوني العقيدة^(١٢)، وبقي مستعفياً من وظيفته حتى غادر صموئيل فلسطين عام ١٩٢٥ فعاد السكاكيني إلى منصبه كمفتش عام مرة ثانية.

استمر السكاكيني في وظيفته الحكومية مفتشاً عاماً للغة العربية في إدارة معارف فلسطين حتى عام ١٩٣٨ حيث أحيل على التقاعد، فأسس بالاشتراك مع ثلاثة من أصدقائه مدرسة أطلقوا عليها اسم مدرسة النهضة، واستمرت قائمة في أداء رسالتها التعليمية في القدس حتى عام ١٩٤٨ حيث تم إغلاقها^(١٣).

وخلال عام ١٩٤٨ غادر إلى القاهرة حيث أختير عضواً في مجمع اللغة العربية فعاش ما تبقى من عمره فيها ، إلى أن توفي في شهر آب عام ١٩٥٣^(١٤).

السكاكيني واستشرافه للخطر الصهيوني

كان خليل السكاكيني من بين أوائل المفكرين العرب الذي تنبها لخطورة المشروع الصهيوني والدعم الاستعماري له. وقد يكون المفكر والسياسي اللبناني نجيب عازوري

أول من تنبه وكشف معالم المشروع الصهيوني، والمخططات الصهيونية، وحذر من الخطر الصهيوني ليس على فلسطين فحسب بل على البلدان العربية الأخرى وبخاصة المحيطة بفلسطين، وقد يكون عمله كمساعد لوالي القدس خلال الفترة ١٨٩٨-١٩٠٤ دوراً في التنبيه لهذا الخطر^(١٥).

جاء تنبه عازوري المبكر للصراع العربي الصهيوني منذ بداية القرن العشرين عندما وضع كتاباً باللغة الفرنسية عام ١٩٠٥ بعنوان "يقظة الأمة العربية"، حيث قال "إن ظاهرتين هامتين متشابهتي الطبيعة بيد أنهما متعارضتان، لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن، تتضحان في هذه الآونة في تركية الآسيوية، أعني يقظة الأمة العربية وجهد اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة على نطاق أوسع، ومصير هاتين الحركتين هو أن تتعاركا باستمرار حتى تنتصر إحداهما على الأخرى. وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين هذين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متضاربين يتعلق مصير العالم بأجمعه"^(١٦). وكأنه لدى كتابته هذه العبارة عام ١٩٠٥ كان يتوقع أن ما يحصل حالياً في الصراع العربي الصهيوني سيحصل.

وبالإضافة إلى عازوري فقد تنبه غيره من المفكرين العرب لخطورة المشروع الصهيوني والأطماع الصهيونية بأرض فلسطين أمثال روجي الخالدي^(١٧) الذي نبه إلى الخطر الصهيوني من خلال مقالاته وخطبه في مجلس النواب العثماني^(١٨)، ونجيب نصار^(١٩) الذي شن حرباً على الصهيونية عبر جريدته الكرمل، ووضع في عام ١٩١١ كتاباً حول تاريخ الحركة الصهيونية وأعمالها^(٢٠)، خاصة بعد أن باتت الدولة العثمانية ضعيفة ولم يعد لديها القدرة على مواجهة الدول الاستعمارية لا سيما بريطانيا التي تعد راعية للمشروع الصهيوني.

لقد أدرك السكاكيني مدى خطورة المشروع الصهيوني وفداحته وتهديده لمستقبل فلسطين قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، فالسكاكيني كمتقف كان يعي تماماً أن الحركة الصهيونية وبدعم أوروبي وبخاصة بريطانيا ستبذل قصارى جهدها لتنفيذ قرارات مؤتمر بازل الذي عقد في سويسرا عام ١٨٩٧^(٢١) وقد سبق ذلك جهود صهيونية في إقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين وتكثيف الجهود لشراء الأراضي، وموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين خاصة بعد طرد اليهود من روسيا أوائل ثمانينات القرن التاسع

عشر. ومواصلة بعض الدول الأوروبية في الضغط على الدولة العثمانية لتخفيف القيود المفروضة على الهجرة اليهودية. لذا فقد عاب على الدولة العثمانية ممثلة بالاتحاديين الذين سيطروا على السلطة بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ أنها كانت تدرك تماماً المساعي الصهيونية الحثيثة لإقامة الوطن القومي اليهودي من خلال الاهتمام الزائد بشراء الأراضي والهجرة، كما عاب على الدول الأوروبية التي كانت تريد أن تتخلص من اليهود بأي شكل، وعبر عن ذلك بقوله: "لست أعجب إلا من الحكومة العثمانية الذي ترى ذلك ولا تتلافاه، ومن الحكومات الأوروبية التي تحاول أن تتخلص من اليهود على نفقة غيرها" (٢٢).

غير أن السكاكيني لم ينطلق من كرهه لليهودية أو الصهيونية من منطلق عنصري، فييدي تعاطفه مع كل أمة متفرقة أن تنهض وتتضامن وتعيش مستقلة، إلا أن كرهه للصهيونية جاء لادراكه و يقينه بأن الهدف الرئيس الذي تسعى لتحقيقه الحركة الصهيونية هو اجتثاث الشعب الفلسطيني من أرضه وإقامة الدولة الصهيونية عليها، فالحركة الصهيونية تستند على مبدأ أساس قامت عليه وهو أن "تذل غيرها لتعتز وتقتل أمة بأسرها لتعيش، فكأنها بذلك تحاول أن تسرق استقلالها سرقة. وتختلسها من يد الزمان اختلاساً". ولعل هذا ما جعل الأمم الأخرى أيضاً تكرهها وتمقتها، ويتابع قوله متسائلاً "أي فخر لها أن تنال استقلالها من هذا السبيل؟ بل إن هذا الاستقلال الذي لا ينال بالدرهم وتنتهز فيه فرصة سبات الأمم الأخرى وضعفها وخمولها لهو استقلال ضعيف قائم على رمل" (٢٣).

ويؤكد السكاكيني في إحدى يومياته لعام ١٩١٩ أي بعد خمس سنوات مما كتبه سابقاً على هذه الحقيقة مرة أخرى، فبين أن كرهه للحركة الصهيونية لأنها مبنية على فكرة قديمة، فليس الذي يطلبه اليهود هو الوطن القومي، وإنما يطلبون أن يكون لديهم سلطة وملك والعمل على إعادة إحياء لغتهم التي ماتت من عهد بعيد جداً لتأييد تلك السلطة، كما يحاولون إحياء الديانة اليهودية مع أنهم يدركون أنها ليست من الأديان الراقية التي تلاءم روح العصر، ولكن يريدون إحياءها لتأييد تلك السلطة. وبين أيضاً أن الأمة اليهودية، أمة محتقرة ومكروهة في كل العالم ، لذا ينبغي على اليهود البحث عن أسباب هذا الاحتقار قبل أن يبحثوا عن وطن، وذكر أن اجتهادهم في أن يكون لهم

وطن لا يمكن إلا أن يكون عن أحد أمرين، إما ترويج الفكرة قديمة، وفي هذه الحالة فالأجدر بالناس مقاومتهم، وإما أن يجمعوا قواهم حتى يتمكنوا من الانتقام من الإنسانية، وهذه نية سيئة من شأنها أن تزيد حقد البشرية عليهم^(٢٤).

وينبه السكاكيني بالخطر الذي سيلحق بالأمة العربية في حال احتلال اليهود لفلسطين فاحتلال فلسطين يعني احتلال قلب الوطن العربي، بالنظر لما تتمتع به فلسطين من موقع جغرافي واستراتيجي هام باعتبارها حلقة تربط جزيرة العرب بمصر وأفريقيا، وبالتالي فإن احتلال فلسطين يحول دون تواصل الأمة العربية ومن ثم ضعفها وإعاقة تضامنها وتوحيد كلمتها^(٢٥).

تعكس هذه العبارة بعد النظر لدى السكاكيني ووعيه الوطني وغيرته القومية، وإدراكه بنوايا الدول الاستعمارية تجاه الأمة العربية، وما تخططه من تجزئة وتفتيت للمنطقة العربية، فوجدت في الحركة الصهيونية وسيلة لتنفيذ أطماعها ومخططاتها الاستعمارية. ويظهر ذلك بشكل واضح عام ١٩٠٧ بعد وصول حزب الأحرار البريطاني إلى الحكم، وتكليف زعيم الحزب آنذاك كامبل بنرمان نخبة من المفكرين والسياسيين لوضع تصور حول الوسيلة التي يمكن من خلالها لبريطانيا الحفاظ على مصالحها في المنطقة العربية. وبناء على ذلك تشكلت لجنة خاصة قدمت تقريراً عرف باسم " وثيقة بنرمان "، وتضمنت خلاصته أن البحر الأبيض المتوسط يشكل شرياناً حيوياً للمصالح الاستعمارية، ولا بد من السيطرة على شواطئه لا سيما الجنوبية والشرقية. واعتبر التقرير أن الخطر الحقيقي لتلك المصالح يكمن في الشعب الموجود على شواطئه نظراً لما تتوفر لديه من مقومات الوحدة العربية، لذا فقد أوصى التقرير بالعمل على تجزئة المنطقة وافشال أي اتجاه وحدوي فيها، ولتنفيذ ذلك يجب فصل شطري الوطن العربي الأفريقي والآسيوي من خلال إقامة حاجز بشري غريب على الجسر الرابط بين الشطرين وهو فلسطين بحيث يكون هذا الجسر قوة صديقة للاستعمار وعدوة لشعوب المنطقة^(٢٦).

وخلال نقاشه مع أحد تلامذته اليهود الخواجة إبري، يرفض السكاكيني المزاعم الصهيونية القائلة بأن اليهود الذين يأتون إلى فلسطين مدفوعين بقوة دينية روحية، وأن القصد من ذلك أدبي روحي، وأنهم إذا رجعوا إلى بلاد آبائهم وأجدادهم واستظلوا

بسماء الأنبياء فقد يظهر بينهم شيخ مثل موسى أو عيسى أو محمد يهز العالم، ويضيف صفحات مجيدة إلى التاريخ". كما أدعى أيضاً أن هجرة ٢٠٠-٣٠٠ ألف يهود إلى فلسطين لا تشكل تهديداً وعامل قلق للأمة العربية، ففكرة إيجاد أمة يهودية في فلسطين انتهت لأن اليهود أدركوا أن البلاد لا تسعهم، ويرد السكاكيني على ذلك بقوله "إذا ما الفائدة من مجيء مئتين أو ثلاث مئة ألف منهم إلى فلسطين؟ ... ليس هذا العصر عصر أنبياء .. ثم ليس كل العالم يحتاج إلى نبي .. أخشى أن يكون نصيب النبي فيكم اليوم نصيب أسلافه الذين حرقتهم وقاتلتموهم، وأن يكون حالكم في هذا العصر كما كان في كل عصر الأنبياء" (٢٧).

وفي سجل آخر بين السكاكيني والحواجة إبري، يكشف الأخير عن النوايا الحقيقية للحركة الصهيونية مؤكداً على الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين وحينهم الدائم للعودة إليها. وادعى أنه منذ خضوع فلسطين للحكم العربي فقد آلت إلى الخراب وأصبحت جرداء قاحلة، وأنها لم تكن في يوم من الأيام للعرب، وليس من حق العرب أن يمنعوا اليهود من العودة إليها والعيش فيها مع العرب لا سيما أنها واسعة الأرجاء وترتبتها خصبة، ووعد بأنه في حال عودة اليهود إليها ستكون أشبه بسويسرا، أي مزدوجة اللغة، وبين أن اليهود لا ينوون إجلاء الفلسطينيين من البلاد بل لديهم رغبة في التعايش معاً. ويرد عليه السكاكيني مفنداً تلك الآراء بقوله إن فلسطين جزء لا يتجزأ من البلاد العربية، وشهدت طوال مراحل الحكم العربي الإسلامي فيها تمدناً وتطوراً عمرانياً يشهد على عروبتها وإسلاميتها، وأن حق العرب فيها حياً ثابتاً (٢٨). فالأمة العربية متجاوزة في خط متصل من جزيرة العرب إلى العراق وسوريا ومصر وأفريقيا، على عكس الأمة اليهودية المشتتة في مختلف بقاع العالم، والمختلفة في الأخلاق والأفكار والمصالح. وبالتالي فإن اتحاد الأمة العربية أسهل بكثير من اتحاد الأمة اليهودية، ليست بسبب التجاور فحسب بل لأنها تتكلم لغة واحدة، واللغة أهم جامعة تجمع بين الناس (٢٩).

لم تكن آراء إبري آراء شخصية بل كانت آراء كل اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين خلال العهد العثماني. لقد دارت هذه السجلات بين إبري، والسكاكيني قبل أن تندلع الحرب العالمية الأولى بقليل، وفي الوقت الذي ما زالت فيه فلسطين تخضع

للحكم العثماني، ولم يكن أيضاً تصريح بلفور واتفاقية سايكس بيكو قد صدرا، فجاء إبري ليكشف علناً عن الأهداف الحقيقية للحركة الصهيونية بعودة اليهود إلى فلسطين استناداً للحقوق التاريخية والدينية المزعومة، ولولا تهاون الاتحاديين تجاه الحركة الصهيونية لما تجرأ أن يصرح بشكل علني عن المخططات الصهيونية، ولا شك أن هذه السجالات لعبت دوراً مهماً في تنبه السكاكيني للأطماع الصهيونية.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وانضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا والنمسا، ثم إبرام اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا وبموجبها وضعت فلسطين تحت إدارة دولية وذلك تمهيد لإعطائها لليهود وهو ما تم تأكيده في السنة التالية عندما أصدرت الحكومة البريطانية في ١٩١٧/١١/٢ التصريح المعروف بتصريح بلفور الذي نسبه إلى وزير خارجيتها آرثر بلفور الذي نص على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

أدرك السكاكيني الخطر الفعلي الذي بات يهدد مستقبل فلسطين، لذا فقد اقترح خلال التحضير لانعقاد مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ أن يكون الأمير فيصل ممثلاً عن العرب منبهاً الحركة الوطنية الفلسطينية إلى عدم إرسال وفد فلسطيني خاص للمؤتمر لتمثيل الفلسطينيين، واقترح أن يعرض العرب على مؤتمر الصلح تأليف جامعة عربية تتناول كل أبناء العرب على وجه الأرض^(٣٠). وفي هذه الحالة فإن فلسطين لن تكون للفلسطينيين وحدهم وإنما للجامعة العربية، وكان من أشد المعارضين للآراء التي كانت تدعو آنذاك في الأوساط الفلسطينية أن تكون فلسطين للفلسطينيين، وقد اتفق معه في هذا الرأي صديقه الأديب المقدسي محمد إسعاف النشاشيبي^(٣١). اللذان اعتبرا أن فكرة جعل فلسطين للفلسطينيين هي فكرة صهيونية، ففي الوقت الذي تستقل فيه فلسطين عن الجامعة العربية وتتخذ اللامركزية قاعدة للحكم كما كان يطرح بعضهم فإن ذلك من شأنه أن يمهّد السبيل للخطر الصهيوني^(٣٢).

موقف السكاكيني من فرض الانتداب البريطاني على فلسطين

كان من بين القرارات التي صدرت عن مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠، وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني. وبالرغم من أن عصبة الأمم وافقت على صك الانتداب في شهر أيار ١٩٢٢، والذي أصبح نافذ المفعول في أواخر أيلول ١٩٢٣ إلا أن النصوص

الأساسية لصك الانتداب البريطاني على فلسطين وضعت موضع العمل منذ منتصف عام ١٩٢٠ عندما حلت الإدارة المدنية محل الإدارة العسكرية، وعين هيرت سموثيل أول مندب سامي بريطاني على فلسطين^(٣٣).

لا شك أن سموثيل يعد المؤسس الذي وضع الحجر الأساس لبناء الوطن القومي في البلاد، والذي سعى جاهداً مع زعماء الحركة الصهيونية طوال فترة الحرب العالمية الأولى للحصول على هذا الوعد المشؤوم بواسطة بلفور قبل الاحتلال البريطاني^(٣٤).

وكان السكاكيني خلال لقائه مع ووترس تيلر أحد أركان الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين في ٣٠ كانون الثاني ١٩١٩ قد انتقد الحكومة البريطانية في إصدارها لوعده بلفور الذي لم ينفر الفلسطينيين فقط من بريطانيا بل نفر منها العالم العربي كله، وقد أيد تيلر رأي السكاكيني مؤكداً على أنه كان ينبغي على الحكومة الانجليزية مساعد اليهود في تسهيل سبل الهجرة إلى فلسطين لا في اتخاذها وطناً قومياً لهم^(٣٥).

حاول الحاكم العسكري البريطاني في القدس خلال لقائه مع السكاكيني في ٢٨ حزيران ١٩١٩ تبرير قرار الحكومة البريطانية بتعيين سموثيل مندوباً سامياً بالنظر لكفاءته الإدارية وليس على أساس ديانته، وأن الإنجليز في بلادهم لا يميزون بين الديانات فلا يسأل الواحد عن دين الآخر، فقد عاش فترة طويلة في المدارس مع مئات الطلبة دون أن يعرف الواحد طائفة أو ديانة الآخر، على عكس الشرق حيث ينظر إلى دين الشخص قبل كل شيء، وأضاف أن الحكومة البريطانية تنظر إلى سموثيل كإنجليزي لا كيهودي كما ينظر إليه العرب، وقد اختارته لإدارة فلسطين لكفاءته واقتداره، ولأن الحاكم إذا كان مسيحياً فإن اليهود يتهمونه دائماً بالتعصب، لذا فقد ارتأت الحكومة أن تعين لهم واحداً منهم، فمهما عمل فلا يستطيعون اتهمه بأنه يحقرهم ويعمل على معاكستهم، ومهما كان سموثيل فلا يستطيع أن يكون إلا إنجليزياً يعمل على تنفيذ السياسة الإنجليزية لا السياسة اليهودية. وطلب من السكاكيني بما له من نفوذ أدبي وبعد نظر أن ينصح ما وصفهم الشباب المتهورين أن لا يستقيلوا من وظائفهم، وفي حال إصرارهم على ذلك فإن الحكومة لن تتردد في قبولها لا سيما أن هناك الكثير من طلبات التوظيف المقدمة للحكومة^(٣٦).

يبدو واضحاً من النص السابق تناقض أقوال الحاكم العسكري، فإذا لم تكن الحكومة البريطانية تنظر إلى العامل الديني، فما هو المبرر في تعيينها لصموئيل وأخذها ديانتها بعين الاعتبار حتى تسكت اليهود؟ وهل كان مقنعاً في كلامه أن صموئيل سينفذ سياسة الحكومة وليس سياسة اليهود، ألم تكن سياسة الحكومة آنذاك ترمي بالأساس لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين؟. إن كل المؤشرات في تعيين صموئيل مندوباً سامياً تؤكد النية المسبقة ومع سبق الإصرار للحكومة البريطانية في تنفيذ وعودها لليهود. وأن صموئيل سيكون الأكثر قدرة على تنفيذ هذه السياسة لا بسبب اقتداره كما يدعي تيلر، وإنما لأنه يهودي متعصب لديانته، وصهيوني يؤمن بالفكر الصهيوني ومتعصب له. كما أن طلبه من السكاكيني بأن ينصح الموظفين المتهورين على حد زعمه من الاستعفاء من وظائفهم احتجاجاً على قرار تعيين صموئيل هو في واقع الأمر إشارة غير مباشرة للسكاكيني نفسه وتحذيره بعدم الإقدام على الاستقالة من وظيفته، فقبل لقاء السكاكيني معه بخمسة أيام كان قد التقى مع مدير المعارف وأبلغه بعزمه على الاستعفاء من وظيفته احتجاجاً على قرار تعيين صموئيل مندوباً سامياً^(٣٧).

كان السكاكيني يعي تماماً الخطر الذي تشكله الحركة الصهيونية على فلسطين، إذ يرى أنه في حال الاستمرار في التفرقة وعدم الاتحاد في مقاومة الصهيونية فستضيع فلسطين من أيدي العرب، وتعرض غيرها أيضاً للخطر فالأمة التي تخسر "بلادها فقد خسرت كل شيء، إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل مجيد فيجب أن نحتفظ ببلادنا، بكل قطعة منها، وما دام لنا بلاد فمستقبلنا مضمون"^(٣٨). وقد أكد على هذه المسألة خلال لقائه مع الخواجة سفير أحد رجال الصهيونية في شباط ١٩١٩، إذ أفصح له أن الحركة الصهيونية تشكل أكبر خطر على البلاد، فإذا ما خير الفلسطينيين بين الاحتلال الأجنبي والاحتلال اليهودي سيختارون الاحتلال الأجنبي لأنه لم يتخذ البلاد وطناً له مهما طال أمده، مدلاً على ذلك بالحملات الصليبية التي انتهت بالرحيل عن البلاد، وبالحكم العربي الإسلامي للأندلس والحكم العثماني للبلاد العربية والاحتلال الروسي والألماني والنمساوي لبولونيا، بينما إذا خضعت البلاد للاحتلال اليهودي فسينازعون السكان الأصليين البقاء فيها ولن يخرجوا منها^(٣٩).

ويكشف السكاكيني خطورة وعد بلفور على الأمة العربية، فهو الخطوة الأولى للقضاء على وحدة الهلال الخصيب التي كانت تلوح لها بعض الحكومات العربية خلال فترة الثلاثينات من القرن الماضي، فإذا انسلخت فلسطين فسيكون من السهل انسلاخ سوريا والعراق، لا سيما أن تلك البلاد تخضع للاتدابين البريطاني والفرنسي، فإذا جاز أن "يضعوا فلسطين في حالات سياسية واقتصادية وإدارية تمهد السبيل لإنشاء الوطن القومي اليهودي فماذا يمنع أن يضعوا البلاد الأخرى في مثل هذه الحالات" (٤٠).

ويبدي استغرابه واستعجابه موافقة الدول الأوروبية والأمريكتين على وعد ، ولم تشذ منها دولة أو حكومة، معتبراً أن ذلك دليلاً على المخطا الإنسانية في هذا العصر، إلى درجة لم يعد للشرف أو للمروءة أو للكرم أو للأخلاق العالية أدنى قيمة (٤١).

واحتجاجاً على تعيين هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين، قدم السكاكيني استقالته من وظيفته كمفتش في إدارة المعارف، في الوقت الذي رحب به بعض الوجهاء والزعماء السياسيين لدى وصوله إلى فلسطين، فعندما وصل إلى مدينة يافا في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ رحب به عاصم السعيد رئيس بلدية يافا وألقى خطاباً هنأ فيه بسلامة الوصول، وأشار إلى حاجة البلاد إلى مندوب سامي ينظر بعدل وثبات ودقة ومقدرة إلى أحوال البلاد وحاجاتها. ولدى وصوله إلى مدينة القدس بعد ظهر اليوم نفسه استقبله راغب النشاشيبي رئيس بلديتها، وألقى خطاباً أمامه رحب به كممثل للحكومة والأمة البريطانية التي وصفها بأنها "أم الحرية والسلام"، وكممثل للملك بريطانيا، الذي يعد على حد زعمه "أعظم ملوك الأرض" لينوب عنه في إدارة فلسطين ويجلب السعادة لسكانها ويضع لهم طريق التقدم والفلاح ويحافظ على ميزان العدالة بينهم بدون تمييز (٤٢).

لا ندري على أي أساس عول كل من النشاشيبي والسعيد على صموئيل بتحقيق العدالة بين السكان وعلى أي أساس نعت الأمة البريطانية بأنها أمة الحرية والسلام، وأن ملكها أعظم ملوك الأرض وهل كان النشاشيبي وعاصم السعيد أيضاً يدركان أن اختيار الحكومة البريطانية لهربرت صموئيل اليهودي الديانة وصهيوني النزعة والتفكير كان من أجل العمل على وضع تصريح بلفور موضوع التنفيذ وإرساء دعائم الوطن القومي اليهودي، ألم يعلما أن صموئيل كان أول يهودي يدخل الحكومة البريطانية عام ١٩١٤، ثم قدم في آذار عام ١٩١٥ مذكرة لرئيس الوزراء اسكويث Asquith.H واتبعها

بمذكرة ماثلة وزعها على باقي الوزراء، طالب فيها باحتلال بريطانيا لفلسطين وتأسيس دولة يهودية تحت إشراف بريطانيا، وفتح باب الهجرة اليهودية لإقامة مركز ثقافي وروحي لليهود في فلسطين، واقترح فيها منح اليهود الذين يفدون إلى فلسطين حكماً محلياً قد يتطور مع مرور الوقت إلى دولة تكون موالية لبريطانيا وتحافظ على نفوذها في المنطقة^(٤٣). لا يمكن تفسير هذه الصفات التي أطلقها على صموئيل وحكومته ومملكه إلا من باب النفاق والرياء والمجاملة من أجل التودد والتقرب لصموئيل والحكومة البريطانية لنيل الرضى عنهما في الوقت الذي كانت تشهد فيه الساحة الفلسطينية بداية التنافس والصراع العائلي على السلطة والنفوذ.

وبخلاف النشاشيبي والسعيد اللذين نظرا إلى صموئيل نظرة تفاؤل لتحقيق العدالة، فقد نظر إليه السكاكيني نظرة مختلفة تماماً، فكان واعياً ومدركاً تماماً أن صموئيل لن يحقق العدالة طوال فترة ولايته لأن مهمته كانت إرساء فكرة الوطن القومي اليهودي، ووضع تصريح بلفور موضع التنفيذ، لذا فقد وجه له رسالة في ٤ حزيران ١٩٢٥ لدى انتهاء فترة ولايته قال فيها "في آخر الشهر القادم تودع فلسطين كما ودع هرقل سوريا. تحمل في نفسك آثاراً وتترك آثاراً. ومهما يكن الأمر فأرجو أن تتعزى لأنك لست أول من رحل بعد أن أقام. لقد مر بنا قبلك غزاة فاتحون كثيرون فأقاموا في هذه البلاد ما أقاموا، وظنوا كل الظن أنهم أمنوا الدهر وفجاءته فحكموا وتحكموا..". وأخذ بتذكيره ما ارتكبه من ظلم بحق الشعب الفلسطيني، وكأنه هنا يرد على التمنيات والآمال التي عقدها النشاشيبي والسعيد على صموئيل لتحقيق العدالة فيقول "ليس الفكرة التي جئت لتأييدها عادلة. لم تكن عادلة يوم جئت ولم تكن عادلة ما أقمت ولن تكون عادلة بعد رحيلك، نحن لا نكره لأن يكون لقومك وطن، ونحن لا نكره أن يكون لهم مكان تحت هذه الشمس، بل إننا نعجب بهمهمم العالية ودأبهم ولو في طلب المحال. ولكن ما أحرهم إذا أرادوا أن يكونوا سعداء وأن يعيشوا بسلام أن يفتشوا عن وطن لا أصحاب له"^(٤٤).

استمر السكاكيني مستعفياً عن وظيفته كمفتش في المعارف حتى انتهاء فترة هيربرت صموئيل عام ١٩٢٥، حيث عاد فيما بعد لوظيفته التي لم يكن ينظر لها كوظيفة حكومية عليه القيام بواجباته الإدارية المنوطة به، بل اعتبرها مهمة وطنية أخذ يسعى من خلالها

بث الروح الوطنية في نفوس التلاميذ والمعلمين على حد سواء. فلا بديل ولا مثيل لأرض فلسطين، وهو ما عبر عنه في إحدى رسائله لابنه عندما وصفها بقوله "لا أتجول في فلسطين إلا عرفت قيمتها العالية، لو اشتراها المشتري بكل مال العالم لكان الراجح، ولو باعها البائع بكل مال العالم لكان الخاسر، كل قطعة في الأرض قد تجد لها مثيلاً وعنها بديلاً، إلا فلسطين فلن تجد لها مثيلاً ولا عنها بديلاً، كل أرض في العالم أرض، إلا فلسطين فهي مناظر ساحرة فتانة" (٤٥). ويصفها في رسالة ثانية قائلاً: "لقد عرفت فلسطين كلها سهولها وجبالها، مدنها وقراها وباديتها، تجولت فيها مراراً في الصيف والخريف والشتاء والربيع، ولا أجول فيها مرة إلا علت قيمتها في نظري، وقلت لو بعناها بكل مال الدنيا لكنا الخاسرين، ولو اشتراها الناس بكل مال الدنيا لكانوا الراجحين" (٤٦).

وعلى الرغم من أنه كان موظفاً حكومياً، إلا أن تلك الوظيفة لم تحل دون استمراره في تغذية الناشئة الفلسطينيين بالروح الوطنية، دون أن يتودد أو يجامل المسؤولين عنه في إدارة المعارف بل حتى المندوب السامي نفسه، عندما رفض الدعوة التي وجهها له المندوب السامي لتناول العشاء على مائدته وقابل تلك الدعوة بالشكر والاعتذار فكتب لابنه يقول "لنتناول العشاء على مائدته من يشاء، وليفخر من يتلطف المندوب السامي فيدعوه لتناول عشاء أو غداء أو شاي، من يحسب مثل هذه الدعوات مدعاة للفخر، ما شاء أن يفخر، وأما محسوبك الأصغر فصعلوك يكفيه من الدنيا أن يعمل فيأكل مع أهل بيته ما يتيسر، شعاري في هذه الدنيا قيمة الإنسان ما يحسنه دعاه المندوبون الساميون أم لم يدعوه، ما كنت أرى بعض الناس يتهافتون على التزلف من المندوب السامي ويفخرون بما نالوا من حظوة لديه، إلا تمنيت أن تعرض له فرصة مثل هذه لأعلمهم كيف الإباء، أما وقد عرضت هذه الفرصة لأعتمنها ورزقي على الله، ولست أتمنى على الله بعدها إلا أن يلهم المندوب السامي أن يطلب لي وساماً فأرفضه" (٤٧).

حرص السكاكيني من خلال جولاته التفتيشية على المدارس ومنهاجه الجديد في القراءة العربية الذي وضعه للصفوف الأربعة الأولى من المرحلة الابتدائية على تعزيز الانتماء الوطني للتلاميذ. ففي رسالة بعثها لابنه في ١٩٣٤/١٢/٦ قال فيها أن الرسالة التي حملها وطاف البلاد يدعو إليها هي أن يكون التعليم أولاً وطنياً وثانياً صحيحاً،

وذكر في هذه الرسالة أنه لدى زيارته لمدارس الناصرة جمع المعلمين والمعلمات وألقى عليهم محاضرة تناول فيها كيف يكون التعليم وطنياً وصحيحاً مستشهداً بعدد من القطع الشعرية شرحها أمامهم كان منها قصيدة للشاعر أحمد شوقي بعنوان "عصفورتان في الحجاز" التي تركز الفكرة الرئيسة فيها على حب الوطن وعدم تركه طمعاً في خيرات وطن آخر، ورمزت العصفورتان في هذه القصيدة للإنسان المتشبه بحب وطنه، وأجمع كافة المعلمين أن شطر البيت "لا شيء يعدل الوطن" يصلح لأن يكون عنواناً لتلك القصيدة، وقد طلب من كل معلم ومعلمة أن يطلب من التلاميذ إعادة هذا العنوان خمس مرات ثم يقول لهم "تعالوا نصيح بملء أصواتنا ليحيى الوطن" (٤٨).

وكرر السكاكيني هذه الطريقة مرة ثانية في مدرسة طبريا حيث طلب من التلاميذ إعادة العنوان الجديد للقصيدة بأعلى أصواتهم حتى "دوت الغرفة بأصواتهم الجش والأوداج منتفخة، والعيون محمرة، وكأن كل واحد منهم انقلب نمرًا". ثم جمع المعلمين وألقى عليهم محاضرة، ومما قاله لهم "نحن ألف معلم منبثون في المدن والقرى والبادية، فنحن قوة كبيرة ومسؤوليتنا عظيمة، إذا كان كل واحد منا وطنياً، وحاول جهده أن ييثر الروح الوطنية في تلاميذه، هيأنا للبلاد جيشاً حراً شجاعاً شريفاً مثقفاً" (٤٩).

وكان السكاكيني قد أثبت هذه القصيدة في الجزء الرابع من كتابه "الجديد في القراءة العربية" للصف الرابع الابتدائي، رامياً منها غرس حب الوطن والتشبث بالأرض فلا مكان يساوي الوطن في منزلته، وقد حرص في الأسئلة التي وضعها للقصيدة أن يكون أحدها ينص على أي شطر منها يصلح أن يكون عنواناً لهاويقصد بذلك الشطر الثاني من البيت الأخير المثبت في الكتاب وهو لا شيء يعدل الوطن (٥٠).

ومن الدروس التي ثبتها السكاكيني في كتابه "الجديد في القراءة العربية"، للصف الثاني الابتدائي درساً بعنوان "احتفظوا بالأرض" ويتناول هذا الدرس قصة فلاح يمتلك قطعة أرض، كان يزرع جزءاً منها برتقالاً، والجزء الآخر حبوباً، فجاءه ذات يوم رجل ونصح به بيع تلك الأرض بثمان غال يعيش به ويربح نفسه من التعب، فأجابه الفلاح: أفضل ألف مرة أن أكون فلاحاً أعيش من أرضي بعرق جبيني، على أن أعيش معيشة الكسالي (٥١).

لقد أراد السكاكيني من هذا الدرس أن يغرس حب الأرض في عقول الناشئة الفلسطينيين، والتمسك بها وعدم التفريط بها مهما دفع ثمن فيها، الوقت الذي كان فيه الصراع بين العرب واليهود محتدماً على الأرض، والسياسة التي اتبعتها سلطات الانتداب البريطاني تجاه الفلاحين من فرض قوانين جائرة وضرائب باهظة على الأراضي، والإغراءات التي كانت تقدمها مختلف المؤسسات الصهيونية للفلاحين الفلسطينيين لبيع أراضيهم إلا أنهم بقوا متمسكين بها على الرغم من الظروف الاقتصادية البائسة التي كانوا يعيشونها في ظل الانتداب البريطاني.

استمر السكاكيني يعمل جاهداً من خلال وظيفته في تغذية الروح الوطنية لدى التلاميذ، وهو يدرك أنه بات على وشك الإحالة للتقاعد، ودون أن يكثرث لوقف المسؤولين في إدارة المعارف الذي لم تكن ترق لهم رسالة السكاكيني الوطنية، فنراه يكتب لابنه رسالة في ١٩٣٥/٥/٢٨ يذكر فيها أن رسالته لتلك السنة كانت ترمي لتحقيق ثلاثة أغراض، الفهم وإحياء اللغة العربية وإحياء العاطفة الوطنية وذلك بأن يجعل من الأمة العربية تفخر أنها عربية لا تقبل عن عروبته بديلاً، وأن المدرسة هي أفضل مكان لتحقيق ذلك، فالأمة التي "ملكت العالم في دورها وحملت مشعال الثقافة دهرًا طويلاً، وقدست المبادئ العالمية مثل العدل والعفو والكرم والحياء والوفاء لأمة شريفة نبيلة راقية، يحق لأبنائها أن يفخروا أنهم عرب. وأخذ يعمل على نشر هذه المبادئ في المدارس فكلّف كل مدرسة أن يكون شعارها قول ابن الرومي:

ولي وطن آليت ألا أبيعهُ وألا أرى غيري له الدهر مالكا^(٥٢)

استقالته من العمل في محطة الإذاعة:

كان السكاكيني قد كتب لابنه رسالة مؤرخة في ١٩٣٥/٧/٢ يبلغه فيها أن حكومة الانتداب جادة في إقامة محطة للإذاعة بالراديو، وأخبره أنه لا بد أن يتم تكليفه ليكون ممن يتكلمون فيها^(٥٣). وبعد أن أقيمت هذه المحطة رشح السكاكيني من قبل صديقه جورج أنطونيوس ليتولى إدارة القسم العربي فيها، خاصة أنه على وشك التقاعد من العمل في إدارة المعارف، وعندما فاتحه أنطونيوس بذلك أجابه السكاكيني بأنه من الأرجح أن لا توافق الحكومة على تعيينه، وأنها تتحين الفرصة لإحالاته على التقاعد والتخلص منه فقد "جنت مرة واحدة في انتدائي للتفتيش، ولست أظن أنها على

استعداد أن تجن مرة ثانية" (٥٤). وكان أنطونيوس قد وصف السكاكيني لمدير محطة الإذاعة على حقيقته بقوله أنه "متطرف في آرائه، وفي وطنيته، صعب القياد لا يطيق أن يتحكم به أحد، أو يفتش عمله أحد، وهو ذو مقام رفيع في بلاده". ومع كل هذه الصفات فقد وافق مدير الإذاعة على تعيين السكاكيني في هذا المنصب، وعلى الرغم من تردد السكاكيني قبوله لهذه الوظيفة إلا أنه أخذ يميل لها، فكتب لابنه يقول "ألم أقل لك في رسالتي الماضية أنك جهلت أباك وقد يستصغر الأمر جاهله، فما قولك الآن وقد جاء من يعرف قيمتي! أحب صناعة التعليم ولا أفضل عليها شيئاً آخر، ولكن إذا لم يكن بد من أن أنتقل منها فإلى مثل هذا العمل العظيم، فهو أقرب الأعمال صلة بالثقافة، وأرجو إن وفقت إلى الحصول عليه أن أخدم بلادي خدمة عظيمة إن شاء الله" (٥٥).

وخلال اللقاء التعارفي الأول بين السكاكيني وكل من مدير محطة الإذاعة ومدير المطبوعات، الذي عُقد في منزل أنطونيوس أبدى مدير المحطة اهتمامه وإعجابه بشخصية السكاكيني وثقافته، حيث دارت بينهم مناقشات طويلة حول موضوعات مختلفة، وكان للإذاعة النصيب الأكبر من الحديث (٥٦).

وبعد مرور نحو شهر على هذا اللقاء، ودون أن يتم التواصل مع السكاكيني، ما جعله يعتقد أن الحكومة صرفت النظر عن اختياره وأن الأمر قد انتهى، غير أن مدير إدارة المعارف المستر بومن استدعاه إلى مكتبه وأبلغه أنه رشحه لإدارة القسم العربي في الإذاعة، مبيناً له أن ترشيحه له لا يعني أن إدارة المعارف ترغب في الاستغناء عنه قائلاً له "إننا لا نستغني عنك في حال، ولكن هذا العمل الجديد ذو صلة بالثقافة، ولعلك تفيد فيه كما تفيد في ميدان التربية والتعليم".

غير أن السكاكيني لم يُعر ذلك الأمر اهتماماً واقترح على بومن أن يتم ترشيح شخصيه مسلمة لهذا المنصب، ورشح له صديقه عادل جبر. إلا أن السكاكيني في نهاية الأمر نزل عند رغبة بومن ووافق على مقابلة اللجنة الحكومية التي تشكلت لمقابله (٥٧).

تفاجأ السكاكيني أن لجنة المقابلة كانت قد دعت معه صديقه عادل جبر ورفيق التميمي، ما أثار حفيظته واستياءه، وعبر عن ذلك برسالة لابنه قال له فيها "أنها- أي اللجنة - تريد أن تقابلنا نحن الثلاثة فتقلبنا وتقيسنا وتزننا وتفحصنا فحصاً دقيقاً لتختار واحداً منا، كأننا أغنام أو أفراس أو آلات أو سلع، أجل نفسي أن أدخل في مسابقة مع

أحد، ولذلك عزمت أن انسحب بانتظام وأترك الميدان لمن يشاء .. أجل نفسي ثم أجلها أن أزاحم أحداً على مورد عيش ولو سدّت كل الأبواب في وجهي، بل إنني أفضل أن أموت جوعاً من أن أنتزع لقمة من فم أحد" (٥٨).

وعلى الرغم من سحب ترشيحه من هذا المنصب، إلا أنه وافق فيما بعد أن يعمل في الإذاعة ليلقي الأحاديث والكلمات الأدبية المتنوعة من خلالها، غير أنه وبعد أقل من أسبوع انسحب من الخطابة احتجاجاً على ما كان يتكرر في الترجمة العبرية من تسمية فلسطين بأرض إسرائيل، وعلق على ذلك بقوله "إذا كانت فلسطين أرض إسرائيل فنحن العرب دخلاء ثقلاء، وليس لنا إلا الرحيل، إنها لقحة عظيمة لا تسيغها النفوس" (٥٩).

أحدث انسحابه من الإذاعة واستنكاره لقول اليهود من خلال المذيع اليهودي أن فلسطين أرض إسرائيل ضجة في البلاد، واستغرب الناس من إقدامه على هذا العمل لا سيما أنه موظف حكومي، وأنه بهذا العمل سيغضب الحكومة ويصوره لها بصورة الناظر المتمرد أو على الأقل المشاكس المشاغب في الوقت الذي كانت فيه الحكومة والناس يعتقدون أن خدمته الطويلة في المعارف قد "روّضت طباعي وألانت قيادي ودمت أخلاقي، وجعلتني هيناً ليناً، تأمرني الحكومة فأطيع، وتكلفني ما شاءت من الأعمال فلا أتأخر ولا أتردد، إثارة لرضا الحكومة" وعبثاً حاول مدير الإذاعة ثنيه عن ذلك، وحاول الاستعانة بمدير إدارة المعارف لإقناعه للعدول عن قراره خوفاً من أن يكون قدوة لغيره في ذلك ولكن دون جدوى (٦٠).

المؤتمر الإسلامي العام ١٩٣١

كان من أبرز النتائج التي ترتبت على ثورة البراق عام ١٩٢٩ وتقرير لجان التحقيق التي أعقبتها، إصدار الحكومة البريطانية بياناً عن خطتها السياسية في فلسطين في ٣١ تشرين الأول عام ١٩٣٠ عُرف باسم "الكتاب الأبيض"، أعلنت فيه عن نيتها تشكيل مجلس تشريعي في البلاد، وأشارت إلى عدم وجود أراضٍ زائدة لاستيعاب المهاجرين اليهود، ويجب مراعاة مقدرة البلاد الاقتصادية على استيعاب المهاجرين والحد من انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود (٦١). وعلى الرغم من تأكيد البيان على مسؤولية الحكومة البريطانية والتزامها بما ورد في صك الانتداب بجعل فلسطين في أحوال سياسية

وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي^(٦٢)، إلا أن الحركة الصهيونية اعترضت على تلك السياسة، ما دفع الحكومة البريطانية للتراجع عن سياستها المعلنة في الكتاب الأبيض برسالة بعث بها رئيس الوزراء البريطاني إلى حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية بين فيها التزام الحكومة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتشجيع الاستيطان اليهودي المكثف في الأراضي، وذكر أن الكتاب الأبيض لم ينص على تحريم امتلاك اليهود لأراضٍ إضافية، وإنما فرض نوع من الرقابة المؤقتة على ذلك^(٦٣).

أدرك الفلسطينيون الثقل السياسي والاقتصادي للوكالة اليهودية التي أجبرت الحكومة البريطانية لإعادة النظر في الكتاب الأبيض، لذا فقد لجأ الحاج أمين الحسيني للدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي عام تحضره شخصيات من مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي لإضفاء البعد الديني والقومي للقضية الفلسطينية، معتقداً أن من شأن ذلك أن يجبر بريطانيا للتراجع عن سياستها تجاه القضية الفلسطينية.

قام الحاج أمين الحسيني بتوجيه الدعوات للعديد من الشخصيات الإسلامية والعربية باسم رئيس المجلس الإسلامي الأعلى ومفتي الديار الإسلامية، وحدد الهدف من انعقاد هذا المؤتمر بـ "البحث في حالة المسلمين الحاضرة، وفي صيانة الأماكن المقدسة الإسلامية من الأيدي الممتدة إليها الطامعة بها، وفي شؤون أخرى تهم المسلمين جميعاً"^(٦٤).

افتتح المؤتمر في ليلة الإسراء ٢٧ رجب ١٣٥٠هـ/ ٧ كانون الأول ١٩٣١، وذلك في مدرسة روضة المعارف الأهلية، واستمر انعقاده عشرة أيام من ٧-١٧ كانون الأول ١٩٣١، وقد حضرته وفود من مختلف الدول العربية والإسلامية، واكتظت جميع اللوكندات " الفنادق " في مدينة القدس بأعضاء الوفود بحث لم يعد بإمكانها استيعاب المزيد، مما دفع المجلس الإسلامي الأعلى لإخلاء بعض المدارس داخل البلدة القديمة وتخصيصها لإقامة بعض المؤتمرات^(٦٥).

حاولت حكومة الانتداب البريطاني إفشال هذا المؤتمر من خلال تحريض المعارضة التي يتزعمها راجب الناشبي عبر بث الإشاعات الكاذبة أن الحكومة البريطانية أخذت عهداً على الحاج أمين الحسيني ألا يبحث في المؤتمر السياسة البريطانية والتعرض لصك

الانتداب البريطاني على فلسطين، واتخذت المعارضة من جريدتي الصراط المستقيم^(٦٦) ومراة الشرق^(٦٧) منبراً لها^(٦٨)، وعقدت مؤتمر عام في فندق الملك داود عرف باسم "مؤتمر الأمة الإسلامية الفلسطينية" في ١٣/١٢/١٩٣١، غير أن الحضور اقتصر على عدد من الشخصيات المعارضة من الفلسطينيين دون أن تحضره أية شخصية عربية أو مسلمة من الخارج^(٦٩).

تكلم المؤتمر البديل بالفشل إذ لم يحظ بتأييد عربي وإسلامي بل حتى من الفلسطينيين أنفسهم، وكان من الواضح أن المحرك الأساس له مناوأة الحاج أمين الحسيني والمجلسين في الوقت الذي كانت تمر به القضية الفلسطينية في أسوأ الظروف، علاوة على قناعة الفلسطينيين أن حكومة الانتداب كانت تسعى بأي شكل من الأشكال لإفشال المؤتمر الإسلامي العام، وما انعقاد مؤتمر المعارضة إلا دليلاً على سعيها الدؤوب لتحقيق ذلك، لا سيما أن راغب النشاشيبي كما وصفه واصف جوهرية الذي كان أحد المقربين منه ومن أخيه، كان يرتبط بعلاقات حميمة مع كبار الموظفين في حكومة الانتداب، فيصف مجالسه لدى تعيينه رئيساً لبلدية القدس بقوله "بدأ حال تعيينه بإقامة الحفلات النادرة في بيته الذي يحتوي على تحف فضية ونحاسية ومزهريات وشمعدانات وأواني للسجائر لأعظم موظفي الانتداب البريطاني، فكانت مجالس أنس فريدة تضم شخصيات بارزة من المحتلين وزوجاتهم ورؤساء الدوائر إنكليزاً وعرباً ويهوداً، وعندما تنظر سيدة ما إلى تحفة يشير إلي بنظرة سرية، فاحتفظ فوراً بالتحفة بعدما أحصل منه على اسم تلك السيدة، وثاني يوم من الحفلة أذهب بنفسه وأقدم لها في بيتها تلك التحفة من راغب بيك كهدية متواضعة للذكرى"^(٧٠).

وعلق خليل السكاكيني في إحدى رسائله على مؤتمر النشاشيبي بقوله " ترى مؤتمر النشاشيبي يشغل بالمسائل الشخصية، بمناوأة الحاج أمين الحسيني، بنزع الثقة منه، بعدم اعترافهم برئاسته على المؤتمر الإسلامي، بأنه مفتي القدس لا مفتي فلسطين، مما هزئ الناس به واعتبروه دليلاً على صغر نفوس القائمين به وسخافة عقولهم. وأنهم أشرار ولكنهم أشبه بالأطفال منهم بالرجال"^(٧١). وتؤكد ميليا السكاكيني شقيقه خليل على هذا الوصف في إحدى رسائلها لسري قائلة: "المعارضون شاغبوا ولكن بدون جدوى

لا بل سقطوا في نظر الأعضاء الغرباء، الحاج أمين الحسيني كان رئيساً للمؤتمر وهو الذي زاد غضب المعارضين^(٧٢).

لم تكن هذه المرة الأولى التي ندد فيها السكاكيني بسياسة المعارضة وهاجمها وشهر بها، فبين كيف كانت تخرج عن الصف الوطني وتقبل الذل والهوان في تعاملها مع السلطة الحاكمة والاستجداء بها، فعندما قدم آرثر بلفور إلى القدس لحضور افتتاح الجامعة العبرية عام ١٩٢٥، حيث أعلن يوم وصوله البلاد إضراباً عاماً شمل المتاجر والمدارس والسيارات، ورفعت فيه الرايات السوداء، إلا أن بعض أقطاب المعارضة خرجت عن إرادة الشعب وشاركت بحفل افتتاح الجامعة العبرية يركضون وراء المنافع الشخصية "قانعون بفتات موائد الأجنبي"^(٧٣). وفي مقالة له نشرته جريدة الشورى في ٢٥ شباط ١٩٢٦ بين فيه أن هذه الفئة تخالف أي أمر تجمع عليه الأمة، وذكر الكثير من المواقف التي خالفوا فيها إجماع الأمة من ذلك رفض الوحدة السورية، ورفض تمثيل الأمير فيصل بن الحسين للعرب في مؤتمر باريس عام ١٩١٩، وعدم الالتزام بمقاطعة حفلة إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين، والترويج لمشروع روتنبرغ^(٧٤)، الذي أجمع الشعب على مقاطعته^(٧٥).

وبين السكاكيني في إحدى رسائله لابنه التأييد الشعبي من قبل الفلاحين للمؤتمر الإسلامي، فيذكر أن توفيق الغصين وهو رئيس حزب الشباب وأحد كبار ملاك الأراضي دعا المؤتمرين لزيارة بياراته في وادي حنين^(٧٦)، وقد بلغ عدد السيارات المثة، وخرجت القرى من لفتا^(٧٧) إلى وادي حنين برجالهم ونسائهم وأطفالهم، وتجمهرت على الطريق تحيي المؤتمر الإسلامي وتهتف بسقوط المعارضين المجرمين ما دل على مكانة الحاج أمين الحسيني العالية في النفوس، وصغر شأن راغب النشاشيبي وجماعته ما دفع السكاكيني للقول "لا شك أن الحاج أمين الحسيني رجل فلسطين الأوحده"^(٧٨).

بلغ عدد جلسات المؤتمر الإسلامي العام ١٧ جلسة وفي الجلسة الختامية التي عقدت في ١٧ كانون الأول ١٩٣١ تمت تلاوة القرارات التي تم اتخاذها، وكان من أهمها إنشاء جامعة إسلامية باسم جامعة المسجد الأقصى، والحفاظ على الأماكن المقدسة بما فيها حائط البراق الذي تم التأكيد على إسلامية المكان والتعاهد على الدفاع عنه، والمطالبة

بتسلم خط السكة الحديدية الحجازية الذي كان قد أنشأ بأموال المسلمين، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي ومساعدة الفلاحين وأرباب الحرف، والعمل على إحياء العالم الإسلامي وبث الحياة فيه ورفع مستواه^(٧٩).

مظاهرات عام ١٩٣٣

عينت الحكومة البريطانية في أواسط عام ١٩٣١ آرثر جرانفيل واكهوب A.G.Waucheope، مندوباً سامياً جديداً خلفاً للمندوب السامي السابق جون تشانسلور Sir John Chancellor، وقد أخذ يعمل على تأييد ومساندة فكرة الوطن القومي اليهودي، فشهدت فترة ولايته تدفقاً كبيراً من المهاجرين، وارتفع العدد عام ١٩٣٣ إلى ٣٠.٣٢٧ مهاجراً، حيث شهدت البلاد في هذا العام موجة من الهجرة لم تشهدا من قبل بسبب تولي هتلر الحكم في ألمانيا، والعمل على تهجير اليهود من ألمانيا، حيث كان من الطبيعي أن تتجه أنظارهم إلى فلسطين، ما ادعى إلى تحويل الكثير من العمال العرب إلى عاطلين عن العمل، كما كان موسم عام ١٩٣٣ ماحلاً بالنسبة للفلاح الفلسطيني، علاوة على منح سلطات الانتداب البريطاني مساحات واسعة من أراضي الدولة للمستوطنين الجدد^(٨٠).

ولدت هذه الأوضاع حالة من القلق واليأس والنقمة في أوساط الفلسطينيين على الحكومة البريطانية التي غدت وبشكل علني تتبع سياسة المحاباة تجاه الحركة الصهيونية، وتعمل بوتيرة سريعة على تحقيق أهداف تلك الحركة، ويعبر خليل السكاكيني عن ذلك برسالة بعثها لابنه بمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على صدور تصريح بلفور ذكر فيها أن البلاد دخلت في دور جديد، فقد كانت قبل اليوم تحتج على وعد بلفور، غير أنها اليوم تحتج على وعد بلفور وعلى الانتداب، بل تعد الانتداب أصلاً ووعد بلفور فرعاً^(٨١). وبعد مرور ستة عشر عاماً على صدور ذلك التصريح كتب في رسالة ثانية أنه بالرغم من أن هذا التصريح تضمن شقين أحدهما يتعهد بإقامة الوطن القومي اليهودي، والثاني يتعهد بالمحافظة على حقوق ومصالح العرب الفلسطينيين الذين نعتهم التصريح بـ "الطوائف غير اليهودية"، إلا أن الحكومة البريطانية التي تعتبر نفسها بأنها نزيهة حولت التصريح إلى شق واحد وهو الشق الأول، وأهملت الشق الثاني^(٨٢).

ويصف السكاكيني الحالة العامة للبلاد في مطلع ثلاثينيات القرن الماضي وكيف استغل الإنجليز والحركة الصهيونية حالة الانقسام في صفوف الفلسطينيين وتفكك العرب فيقول بقوله "حالة البلاد تسير من سيء إلى أسوأ، كل يوم تقذفنا السفن بمئات من المهاجرين اليهود، وكل يوم تباع الأرض قطعة كبيرة بعد قطعة كبيرة، والناس يتخبطون في وضع الخطر خبط عشواء. عرف اليهود والإنجليز أن الأمة العربية مفككة العرى، متقاطعة متدايرة، فقيرة جاهلة، فاغتموا الفرصة لتنفيذ سياستهم، كما لا تريدنا الأيام إلا استسلاماً إلى اليأس، ومن المضحك المبكي أننا نعقد الاجتماعات والمؤتمرات فنصبح ونسب ونشتتم كأن الصياح والسباب والشتيم وسائل سحرية تكشف الغمة وتدفع الملمة، فما مثلاً إلا مثل ذلك الشاعر الذي قيل له أن العدو على الأبواب فقال لأهجوته بقصيدة" (٨٣).

وفي رسالة ثانية يصور فيها السكاكيني حالة البؤس التي وصل إليها المجتمع الفلسطيني خلال تلك الفترة من فقر وجوع واضطهاد فيقول "لا أمشي في الطريق إلا تأملت الناس من رؤوسهم على أقدامهم، تصفحت الوجوه، قرأت ما في العيون، استشفقت ما في النفوس، فلا أرى إلا الشقاء مجسماً. لعل هذه المرأة البائسة لم تأكل منذ يومين، لعل هذا الصبي الضئيل الذاهب إلى مدرسته لم يتناول فطوره، لعل هذا الشيخ الفاني بات على الأرض على الطوى، لعل هذا الشاب المكفهر الوجه الهزيل الجسم قد مر عليه الشهر تلو الشهر يفتش عن عمل يمسك به رقبته فلم يجد، فهو يعيش بين خصاصة وتجمل، يجوع ويوهم الناس أنه شعبان، والحر بين الخصاصة والجوع يموت هزلياً، هذه فتاة ذاهبة إلى عملها، كم تكسب في يومها، لعل رئيسها أو رئيستها من الفظاظة على جانب عظيم، هذا حمال، أشبه بحمال ابن الرومي، انظر كيف انتفخت أوداجه، كيف تصبب عرقه، الحمل ثقل، والمسافة بعيدة، والطريق إكام ووهاد، والأجر فوق ذلك كله قليل" (٨٤).

يظهر النصان السابقان سوء الأحوال السياسية والاقتصادية للفلسطينيين، فعلى الصعيد السياسي كان المجتمع الفلسطيني منقسماً على نفسه ما بين معارضة ومجلسيين، ويتضح أن السكاكيني كان ساخطاً على المؤتمرات التي كانت تدعو لها القيادات الفلسطينية، فهي برأيه بدون جدوى وكأنه يريد أن يقول أن الحل الأمثل لتغيير هذا

الواقع اللجوء إلى استخدام القوة، وما هذه المؤتمرات إلا مضيعة للوقت. أما على الصعيد الاقتصادي فقد باتت الأوضاع الاقتصادية للفلسطينيين في غاية التردّي واستفحلت البطالة في أوساط المجتمع، ومن كان يجد له عملاً فأجره قليلاً، وليس أمامه إلا أن يقبل بذلك ليسد رمق أطفاله من خطر الجوع.

ويبدو أن السكاكيني بحكم ثقافته ووعيه السياسي كان متنبئاً بانفجار الوضع، واستنتج ذلك من خلال الخطاب التي ألقى في مؤتمر حزب الاستقلال في نابلس الذي عقد في يوم الأحد ١٩٣٢/١٠/٣٠ بحضور وفود من مختلف أنحاء فلسطين علاوة على وفود من سوريا وشرق الأردن فكانت "تلك الخطاب أشبه بالتهديد منها بالاحتجاج، واستيقنت أن البلاد تتحفز للثورة ولا يفيل الحديد إلا الحديد، والحق أن الحالة في البلاد لا تطاق^(٨٥).

أمام هذه التطورات وتمادي سلطات الانتداب البريطانية في سياستها تجاه القضية الفلسطينية من فتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعيها، وسن القوانين والتشريعات المتعلقة بانتقال الأراضي إلى اليهود، ومنح اليهود الامتيازات الاقتصادية، وتضييق الخناق على الفلسطينيين وبخاصة الفلاحين منهم، لم يكن أمام اللجنة التنفيذية العربية التي كان يتولى رئاستها آنذاك موسى كاظم الحسيني إلا اللجوء إلى اتخاذ مواقف أكثر صلابة، فقررت البدء في إعلان الإضراب العام والقيام بمظاهرات دورية في مختلف المدن الفلسطينية، وتقرر أن تنطلق المظاهرة الأولى من مدينة القدس في يوم الجمعة الموافق ١٣ تشرين الأول ١٩٣٣ ويشارك فيها أعضاء اللجنة التنفيذية العربية وعلى رأسهم رئيسها، وكان اختيار يوم الجمعة بالنظر لقدم الكثيرين من أهالي القرى لأداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى ما يضمن مشاركة واسعة من المتظاهرين^(٨٦). وفي الموعد المحدد انطلقت المظاهرة من الحرم الشريف باتجاه كنيسة القيامة ثم إلى ساحة باب الجديد حيث وقعت الاشتباكات بين المتظاهرين والجند البريطاني أصيب خلالها موسى كاظم الحسيني ببعض الكدمات والرضوض على أثر وقوعه على الأرض من شدة الزحام^(٨٧).

وسرعان ما أن امتدت هذه المظاهرات إلى مختلف المدن الفلسطينية هاجم فيها المتظاهرون مراكز البوليس ومحطات سكك الحديد، ووصل الحد إلى إلقاء بعض الثوار قنبلة على دار الحكومة في مدينة القدس، ووفقاً لما ذكره السكاكيني أنه "يقال أنها قتلت

جنديين بريطانيين من جنود الحرس"، بل إن بعض الشبان هجم على أحد الجنود واختطف منه بندقيته وسددها إلى الجنود وجعل يطلق عليهم النار بسلاحهم^(٨٨).

ويصف السكاكيني هذه الثورة أنها امتازت عن غيرها من الثورات السابقة، فهي ثورة على الحكومة اشتركت فيها كافة أنحاء البلاد، كما أن العالمين العربي والإسلامي أبديا التعاطف والتأييد لها^(٨٩)، فلم يخطر للحكومة البريطانية "في بال أن العالم العربي المفكك الأوصال المنهوك القوى سيهتّم بفلسطين ويعطف عليها، بل يحسبها المشكلة العربية الكبرى التي لا تذكر إزائها مشكلة أخرى، ولم يخطر لها في بال أن العالم الإسلامي سيقف بجانب الأمة الفلسطينية يؤيدها ويعطف عليها ويحسب المشكلة الفلسطينية مشكلة إسلامية عظيمة"^(٩٠). كما أن هذه الثورة جاءت لتعلن "عن إفلاس سياسة الحكومة في بناء الوطن القومي اليهودي، وفي التوفيق بين العرب واليهود، وفي المحافظة على مصالح العرب". أما فيما يتعلق باليهود فقد "استولى عليهم رعب عظيم، يرون شعباً أعزل لا يملك من السلاح شيئاً غير أحذيته ومداساته، يهاجم المترايوزات، يهاجم الفرسان فيخطف الفرسان عن صهوات خيولهم ويدوسهم بأقدامه"^(٩١).

وكان للمرأة الفلسطينية دوراً مميزاً في هذه الأحداث، فقد قابل وفداً من سيدات القدس المندوب السامي، وكان من بينهن ميليا السكاكيني شقيقة خليل التي خاطبت المندوب السامي قائلة "بصفتي كوني مسيحية أخجل جداً أن دولة مسيحية تدعي أنها متمدنة راقية، مسيحية، وأنها في طليعة الأمم التي تدعي أنها متمدنة ترتكب من الفظائع ما ارتكبه دولتكم في فلسطين، لقد عشنا دهرًا طويلاً في هذه البلاد في سلام وطمأنينة وكنتم تحاولون أن تتدخلوا في شؤوننا بحجة المدافعة عن المسيحيين تارة وبحجة نشر الحضارة وتأييد السلام والانتصار للعدل تارة أخرى، وكان من ذلك أنه إذا وقع في البلاد شيء بسيط تافه اتجهت أنظار الناس إلى أوروبا، وأما الآن وقد شئت الأقدار أن تشرفوا وتحكموا، وقد رأينا منكم مما لم يكن يخطر لنا في بال، فليس لنا إلا أن نوجه أنظارنا إلى أفريقيا، ليس لنا إلا أن نشكوكم إلى الأمم المتوحشة فهي أقرب إلى الإنسانية منكم".

واختتمت كلمتها بقول الشاعر^(٩٢):

إننا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيض صائغنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضعنا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولورأينا المنايا في أمانينا

وعندما قامت حكومة الانتداب في ١٩٣٣/١/٢٧ بمحاكمة بعض الشخصيات الوطنية التي كانت وراء الأحداث كانت النساء من بنات وزوجات الطبقة العليا من المجتمع المقدسي قد حضرن إلى قاعة المحكمة واحتلن المقاعد الأولى فيها وأخذن يوبخن الشهود من البوليس العربي، وينعتن بالخيانة، ويصف السكاكيني ذلك بقوله "إن أهم ما جاء في هذه المحاكمة أن النساء كن يحتلن مقاعد المحكمة، نساء الطبقة العالية من المسلمين اللواتي يخجلن أن يمشين في الطريق، وإذا كلمن أحداً فمن وراء حجاب، هؤلاء السيدات المجتمعات الخجولات الحيات اقتحمن المحكمة واحتلن المقاعد الأولى فيها، وكانت ميليا في مقدمتهن، فما كان أحد الشهود من رجال البوليس العرب يقف ليؤدي شهادته إلا صاحت النساء ليسقط الخائن ليخسأ الخائن ... ما هذه الوطنية، ما هذه الحماسة .. لم يسبق في حياة بلادنا أن اشتركت النساء في النهضات"^(٩٣).

اتخذت سلطات الانتداب إجراءات صارمة ومشددة تجاه المظاهرات منذ اليوم الأول لاندلاعها في مدينة القدس حتى لا تنتقل إلى المدن الفلسطينية الأخرى، فأعلنت الإدارة العرفية في كافة أنحاء البلاد، ووضعت الصحافة تحت المراقبة بحيث لا ينشر فيها شيئاً إلا بعد أن يمر على قلم المراقبة،^(٩٤) وزجت بالكثير من الشخصيات الوطنية في السجون^(٩٥). إلا أنها أخذت تتراجع عن سياسة القوة بعد أن أدركت صعوبة السيطرة على الموقف، فقد أطلقت سراح بعض المعتقلين ومن بينهم سجناء حكموا مؤبداً في ثورة البراق عام ١٩٢٩^(٩٦)، ورفعت الرقابة على الصحف، وبعد أن كانت تقابل كل مظاهرة بإطلاق الرصاص، أخذ الجند البريطاني يتوارون أمام المتظاهرين خوفاً من الاصطدام، وحاول المندوب السامي الظهور بمظهر الإنسانية فقد ألغى حفلة افتتاح ميناء حيفا بحجة "أن الوقت الحاضر الذي انطفأت فيه حياة كثيرين وخربت فيه بيوت كثيرة بمناسبة الاضطرابات الأخيرة، لا يناسب إقامة حفلة فخمة كالتي تقرر إقامتها" ويعلق

السكاكيني على هذا الموقف ساخرًا بقوله " ما هذا الشعور الرقيق والأدب العالي يا صاحب الفخامة" (٩٧). كما أخذ المندوب أيضاً بعبادة الجرحى وتطبيب خواطهم والثناء على شجاعتهم عارضاً عليهم تقديم ما يحتاجونه من مساعدات مالية (٩٨). وحاولت حكومة الانتداب التودد للفلاحين وذلك لعلمها بالدور الذي بات يلعبه الفلاح الفلسطيني في المقاومة، فأعفت الفلاحين من ضريبة الأعشار (٩٩).

وانتقد السكاكيني السياسة التي انتهجتها سلطات الانتداب البريطاني في قمع المتظاهرين واستخدام القوة بحقهم، فقارن بين الإنجليز الذين يعتبرون من الشعوب المتحضرة والأتراك العثمانيين الذين كانوا يمارسون سياسة الاستبداد والظلم بحق الشعوب، ليتبين له أن ما كان يفعله الأتراك بحق الشعوب العربية أقل بكثير مما يمارسه الإنجليز المتمدنون، فيقول في إحدى رسائله "وإذا كنا ننعى على الترك ظلمهم وانحطاطهم واستبدادهم، فقد رأينا من الإنجليز من هذه الأمة المتمدنة الراقية التي أنجبت كبار الفضلاء والعلماء والأدباء والشعراء ما لا يذكر بجانبه ظلم الأتراك وانحطاطهم واستبدادهم، فكان شأننا معهم شأن المسيحيين من الرمضاء بالنار ... بعد أن مزق الجند الإنجليزي شمل المتظاهرين في يافا، أخذوا بعض زعماء الشباب إلى دار الحكومة وقيدوهم بالحديد ثم انهالوا عليهم ضرباً فكسروا يد هذا وأضلاع ذاك، وهشموا أسنان آخر وحطموا رأس آخر والكل مكبل بالحديد" (١٠٠).

وشبه الإنجليز بالرومان خلال حكمهم لفلسطين الذي شهد ولادة السيد المسيح ونبوته، وما قام به اليهود خلال العهد الروماني بحق المسيح من إهانة وتعذيب دون أن يحرك الرومان ساكنًا، وينطبق الأمر ذاته على الإنجليز خلال عهد الانتداب حيث طبقوا سياسة تسهيل استملاك اليهود للأراضي وانتزاعها من أيدي أصحابها، وتسهيل تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والعمل على وضع تصريح بلفور موضع التنفيذ، فغدوا بذلك آلة مسخرة بيد اليهود لتنفيذ أطماعهم وادعاءاتهم التاريخية المزيفة، فيقول "وما أشبه الإنجليز في فلسطين اليوم بالرومان في عهد المسيح فيها، سلموا المسيح لليهود، فأخذ هؤلاء يصبون عليه نقيمتهم، فعذبوه وربطوه بالحبال، وجروه من مكان إلى آخر، وبصقوا عليه وأهانوه، ثم صلبوه، والجندي الروماني لم تأخذه مروءة، ولم يحرك ساكنًا، بل كان آلة مسخرة في يد اليهود، إذا كانت هذه حالة الدنيا اليوم فما أشقى

البشر وما أخط وأسوأ حظهم، وما أبعد عصر السلام والإخاء والمحبة والعدل والحق" (١٠١).

انتخابات بلدية القدس

كانت عائلة الحسيني (١٠٢) من أكثر العائلات التي تولت رئاسة بلدية القدس منذ نشأتها عام ١٨٦٤ وحتى تشكيل الإدارة المدنية للانتداب البريطاني عام ١٩٢٠، فقد كان من بين من تولى رئاستها خلال هذه الفترة ستة رؤساء من عائلة الحسيني (١٠٣)، كان آخرهم موسى كاظم الحسيني الذي قدم استقالته من رئاسة البلدية عام ١٩٢٠ احتجاجاً على المادة الثانية والعشرين من صك الانتداب التي تضمنت أن تكون اللغات العربية والإنجليزية والعبرية اللغات الرسمية، حيث رفض الموافقة على أن تكون اللغة العبرية لغة رسمية (١٠٤).

وبعد استقالة الحسيني عين راغب النشاشيبي رئيساً للبلدية، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٤، ولما كانت بلدية القدس مصدراً للنفوذ السياسي والاجتماعي لراغب النشاشيبي (١٠٥)، فقد أخذ الحاج أمين الحسيني يعمل جاهداً على انتزاع رئاسة البلدية من النشاشيبي لتقليص نفوذ أسرته، فاستغل إجراء انتخابات رئاسة البلدية عام ١٩٣٤ وبدأ بالتفكير لإيجاد مرشح ليحل محل راغب النشاشيبي، وقد طرحت عدة أسماء كان منها جمال الحسيني أكثر الشخصيات المقربة للحاج أمين الحسيني، غير أن المجلسين تراجعوا عن هذا الترشيح لتخوفهم من هزيمة جمال الحسيني أمام خصمه راغب النشاشيبي على كرسي رئاسة البلدية وما ستشكله هذه الهزيمة من أثر بالغ على سمعة اللجنة التنفيذية العربية خاصة والمجلسين عامة (١٠٦).

وقبل انتهاء موعد قبول أوراق الترشيح النهائية بنحو ثمان وأربعين ساعة تقدم الدكتور حسين فخري الخالدي بالاستقالة من منصبه في رئاسة أطباء منطقة القدس وترشح لانتخابات رئاسة البلدية (١٠٧). وكانت عائلة الخالدي (١٠٨) تقف على الحياد في النزاع السياسي بين المعارضة والمجلسين باستثناء بعض الأفراد المؤيدين للمعارضة (١٠٩).

يستدل من إحدى رسائل السكاكيني إلى ابنه شدة التنافس على انتخابات المجلس البلدي، مبدئياً استياءه الشديد من تلك المنافسة وتأثيرها على المجتمع المقدسي الذي بات منقسماً بين المعارضة والمجلسين، في الوقت الذي كانت فيه الهجرة اليهودية تتدفق على

فلسطين، فتناست القيادات التقليدية لما تشكله تلك الهجرة من خطر على البلاد، وأخذت تتصارع فيما بينها على منصب رئاسة البلدية وعضويتها، فيعلق قائلًا: "لا تنتهي هذه الانتخابات إلا وقد فسدت الأخلاق، إلا وقد تفشى العداء بين الأخ وأخيه، إذا خالطت الناس في هذه الأيام فلا ترى إلا ما تنبو عنه العين، ولا تسمع إلا ما تستك له المسامع، ولا تشم إلا ما تجيش له النفس، ولذلك رأيت منذ طلعت علينا هذه الانتخابات أن أُلزم بيتي فلا أفارقه، بل لقد عزمْتُ أن أترك القدس غدًا إلى نابلس فلا عين ترى ولا قلب يحزن، وهنا مكان لأن أكرر ما قلته مراراً أنني لست من هذا العالم، لا يعجبني فيه شيء. لا أحب الحياة، إلا إذا كانت مجداً وحزماً وعفافاً ونبلاً وترفعاً، وليس لمن كان مثلي إلا أن ينصرف إلى تربية أولاده وتنشئتهم على أصح المبادئ وأسمى الأخلاق، وإلا أن يعمل في جو هادئ في خدمة الإنسانية على قدر ما تساعد مواهبه ووسائله"^(١١٠).

وفي رسالة ثانية يصف فيها حالة النفاق لدى البعض في المجتمع المقدسي فيقول "أظهرت المعارك الانتخابية حقائق كثيرة من الناس، فكم رأينا من الذين كنا نحسب أنهم على شيء من الكرامة يتمرغون عند مواطئ النعال ويميزون لأنفسهم اتخاذ كل وسيلة إلى أغراضهم مما حملني أن أقاطع الناس وأُلزم بيتي لا أزور ولا أزار أنفة واستكراً"^(١١١).

جرت انتخابات المجلس البلدي يوم الخميس الموافق ٢٨ أيلول ١٩٣٤، وكانت نتيجتها لصالح المجلسين حيث فاز الدكتور حسين فخري الخالدي برئاسة البلدية، رغم فوز بعض مرشحي المعارضة بعضوية المجلس وخاصة المسيحيين، فقد فاز يعقوب فراج على خصمه توفيق فرج، وفاز انستاس حنايا على خصمه نخلة كتن وكان كلا الفائزين من أنصار راجب النشاشيبي^(١١٢).

ويصف السكاكيني فوز المجلسين بالانتخابات أنه كان "فوزاً باهراً، ابتهجت له فلسطين بأسرها"^(١١٣) وأضاف "ولا تسل عن سرور الناس، فما كنت ترى إلا المواكب إثر المواكب تهزج وتهتف، وأما النشاشيبيون فقد باؤوا بالخزي ولم يكن أحد يتصور أن تكون النتيجة على هذا الشكل"^(١١٤).

وبالرغم من أن السكاكيني لم يكن ضمن أي من الطرفين المتنافسين، إلا أنه كاد يميل إلى جانب المجلسيين، فكثيراً ما كان يهاجم كل من راغب النشاشيبي وأخيه فخري، منتقداً صف المعارضة التي يتزعمها راغب النشاشيبي، مقارناً بينها وبين ما قدمه المجلسيون في خدمة القضية الفلسطينية فيقول: "وما هذه المعارضة؟ قد يظن البعيد أنها معارضة للحكومة، ولكن الحقيقة أنها معارضة للوطنيين أنفسهم، فما من عمل قام به الوطنيون إلا تصدى لهم المعارضون، يفسدونه عليهم، كان المسجد الأقصى على وشك أن يسقط فقام المجلس الإسلامي الأعلى يدعو العالم الإسلامي إلى التبرع بالمال لترميمه، فقام المعارضون فأرسلوا إلى العالم الإسلامي يزهّدونهم في التبرع بحجة أن الأموال ستذهب إلى جيوب المجلسيين، قامت الحرب في الجزيرة العربية فذهب وفد برئاسة الحاج أمين الحسيني ليسعى في الصلح وحقن الدماء، قام المعارضون يشوشون عليه عمله، دعا المجلسيون إلى عقد مؤتمر إسلامي في القدس للاهتمام بشؤون المسلمين عامة، فعقد المعارضون مؤتمراً ولماذا؟ ليحتجوا على أن يكون الحاج أمين رئيساً ذلك المؤتمر" (١١٥).

كانت نتيجة الانتخابات مفاجأة للمندوب السامي ورغبته الذي كان يطمح في إعادة انتخاب راغب النشاشيبي لرئاسة البلدية حفظاً للتوازن بين المعسكرين، لا سيما أنه تلا ذلك انتخابات للبلديات في مختلف المدن الفلسطينية، وفشل فيها الكثيرون من أصحاب راغب النشاشيبي، وأصبحت المعارضة في الصميم وانهار كيائها، حتى وصل الأمر إلى دعوة المعارضة لاجتماع كبيرة في إحدى المدن لمناقشة الموقف الذي نتج عنه فشلها في الانتخابات، وقد اتخذ المجتمعون قراراً بطرد الدكتور حسين الخالدي من صفوف المعارضة نظراً لتجاسره في الخروج عنها وترشيح نفسه منافساً لراغب النشاشيبي، رغم أنه كما يقول في مذكراته "لم أكن انتمي في يوم من الأيام لأية فئة أو جماعة حزبية، وكنت منذ عودتي إلى فلسطين عام ١٩٢٠ حتى ذلك اليوم موظفاً كباقي الموظفين لا أشغل في السياسة" (١١٦).

أبدت المعارضة تشككها في نزاهة نتائج الانتخابات، فقدم راغب النشاشيبي للمحكمة طعناً في النتائج، وطال أمد النظر في الطعن من قبل المحكمة التي كانت متشككة من قاض بريطاني واحد، وتأجل إصدار القرار لفترة طويلة حاولت المعارضة التأثير على المحكمة من خلال بعض المراجع الحكومية وأصدقاء راغب النشاشيبي من كبار

الموظفين الإنجليز لإلغاء نتائج الانتخابات وإعادتها مرة ثانية، غير أن المندوب السامي لم يتدخل في الأمر وترك للمحكمة حرية الرأي والحكم^(١١٧)، الذي صدر يوم الثلاثاء الموافق ١٥ كانون الثاني ١٩٣٥ والقاضي باعتماد نتائج الانتخابات وتثبيت الخالدي رئيساً لبلدية القدس، ويصف خليل السكاكيني ابتهاج الأهالي على هذا القرار، عندما ذهب إلى الحاج أمين الحسيني في مقر المجلس الإسلامي الأعلى لمراجعته في بعض الأمور "فإذا بالتلفونات تنقل إليه خبر سقوط دعوى راغب بيك، فقال لي: أما كان يجب أن تقدم زيارتك هذه شهراً، فإنه يظهر أن نجاح القضية كان موقوفاً على زيارتك، فلو قدمتها شهراً لكننا استرحنا من ملل الانتظار شهراً، ثم جعلت الوفود تتوافد على المجلس للتهنئة، وفي رجوعي كنت أرى الناس يهتفون بعضهم بعضاً بخلاصهم من الدور البائد واستقبال الدور الجديد"^(١١٨).

حركة الشيخ عز الدين القسام

ظهرت أواخر عام ١٩٣٥ حركة ثورية سرية عُرفت في التاريخ باسم "حركة القسام" نسبة لمؤسسها الشيخ عز الدين القسام وهو من بلدة جبلة قضاء اللاذقية في سوريا، ولد عام ١٨٧١، وارتحل إلى مصر ليدرس في الجامع الأزهر، ثم عاد إلى بلاده فعمل مدرساً في جامع السلطان إبراهيم، وفي عام ١٩٢٠ شارك القسام في ثورة العلويين مع المجاهد الشيخ صالح العلي، فحكم عليه الديوان العرفي بالإعدام^(١١٩).

هرب القسام من سوريا ولجأ إلى مدينة حيفا في شباط ١٩٢٢، حيث عمل مأذوناً شرعياً وواعظاً ومرشداً دينياً في جمعية الشباب المسلمين في المدينة، فاستغل وظيفته وأخذ يعمل على تشكيل خلايا جهادية سرية^(١٢٠). وعلى الرغم من بساطة شخصية القسام وحركته، إلا أنها أضفت على القضية الفلسطينية أبعاداً جديدة، فهو كسوري أضفت شخصيته طابعاً قومياً، بينما مثلت مشاركته في العمل الثوري ضمن حركة الشيخ صالح العلي بعداً وطنياً وتكريساً لوحدة النضال الوطني للأمة العربية.

استمر القسام بالعمل السري عبر اختياره العناصر النشطة الفعالة القادرة على العمل من تلامذته والمستمعين لحلقاته الدينية، كما أخذ يسعى إلى عقد الصلات مع السكان من أبناء القرى المجاورة لمدينة حيفا من خلال عمله كمأذون شرعي، فأخذ أنصاره ومؤيدوه بالازدياد، وكان معظمهم من الفلاحين وعمال حيفا^(١٢١). وتوج عمله

العسكري في ٢٢ كانون الأول ١٩٣٢ بمهاجمة إحدى المستعمرات اليهودية، ثم تلا ذلك ثلاث عمليات عسكرية أخرى وبقيت الجماعة تعمل بشكل سري دون أن يعرف عنها أحد حتى توجت عملها العلني في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ بالاشتباك مع الجند البريطاني في أحراش قرية يعبد قضاء جنين^(١٢٢) استخدمت فيها القوات البريطانية الطائرات، وقد أسفرت هذه المعركة عن استشهاد القسام وثلاثة مجاهدين، بينما أُلقي القبض على الآخرين^(١٢٣).

يبدو واضحاً من خلال رسائل السكاكيني لابنه أن حركة القسام كانت في غاية السرية، إذ لم يكن السكاكيني وهو المثقف والواعي والذي يرتبط بعلاقات وثيقة مع قادة الحركة الوطنية الفلسطينية على معرفة بتلك الحركة، ما يعني أن الزعامات السياسية هي أيضاً لم يكن لديها أية معلومات عن حركة القسام واقتصرت إشارات السكاكيني لهذه الحركة في رسائله لابنه على إشارتين فقط ودون أن تتضمن أية تفاصيل أو أسماء، واعتمد في معرفته بخبر القسام على ما ورد في جريدة فلسطين، بل إن السكاكيني نفسه يكاد أن لا يصدق صحة المعلومات الواردة عن تلك الحركة، والأغرب في ذلك أنه نعتها بـ "الجمعية الإرهابية"، فكتب إلى ابنه رسالة مؤرخة في ١٩٣٥/١١/٢١ قال فيها "ستقرأ في جريدة فلسطين بتاريخ اليوم خبر هذه الجمعية الإرهابية التي ظهرت في البلاد، ولا بد أن تكون قد سمعت بها لأن الراديو نقل بالأمس أخبارها إلى العالم. سمع الناس هنا أخبارها بين مصدق ومكذب، جمعية رئيسها شيخ معمم وأعضاؤها من شيوخ البر يحملون السلاح في وجه الحكومة. إن هذا الأمر عظيم وسرى ما يكون له من أثر وما يتبعه من ذبول، ومهما يكن الأمر فلا بد أن العالم يعرف أن الحالة في فلسطين لا تطاق. وأن الأمة العربية ليست لقمة سائغة وسرى"^(١٢٤).

ومما يجدر ذكره أن الخبر الذي أورده تلك الجريدة جاء في الصفحة الأولى منها بعنوان "قوى البوليس تصطدم بالعصبة الإرهابية" وهي نفس الصفحة التي استخدمها السكاكيني ما يؤكد أنه اعتمد في الخبر على تلك الجريدة، ثم أوردت تفاصيل الاشتباك بين جماعة القسام والجند البريطاني في الصفحة الرابعة بعنوان "لن نستسلم هذا جهاد في سبيل الله والوطن - معركة حامية بين أفراد العصبة الإرهابية وقوة كبيرة من رجال البوليس"، وذكرت أن المعركة أسفرت عن مقتل خمسة أفراد من الجماعة وواحد من

البوليس البريطاني، واستسلام أربعة من أفراد الجماعة بعد اشتباك استمر ست ساعات (١٢٥).

أما الإشارة الثانية فكانت بعد يومين من الرسالة السابقة، وبعد استشهاد القسم بيوم واحد، حيث بعث لابنه رسالة مؤرخة في ١٩٣٥/١١/٢٣م تناول فيها حركة القسم بفقرة قصيرة جاء فيها "ستقرأ في عدد الأيام من جريدة فلسطين معلومات جديدة عن عصابة الإرهاب، ولكن هناك معلومات قد لا تنشرها الجرائد فاجعلها موضوع رسالة آتية" (١٢٦).

يتضح من خلال النصين السابقين أن السكاكيني نعت تلك الحركة بالإرهاب، ويبدو أنه اعتمد في ذلك على ورد في جريدة فلسطين التي كانت لسان حال المعارضة التي يتزعمها راغب النشاشيبي. كما يتضح من النص الأول أن أعضاء تلك الجماعة كانوا "شيوخ البر" ويقصد بذلك الفلاحين المتدينين فكلمة شيوخ في هذا النص لا تعني الوجهاء أو المنفذين. وبالرغم من ندرة المعلومات لدى السكاكيني عن تلك الجماعة إلا أنه تنبأ بخطورة الوضع فيما بعد وما سيكون لها من أثر ونتائج لم تكن تتوقعها حكومة الانتداب البريطاني. وجاء حكمه بما ستركه تلك الحركة من عواقب وخيمة نتيجة للسياسة التي تنتهجها السلطات البريطانية تجاه القضية الفلسطينية فالحالة كما يصورها أصبحت لا تطاق.

ومن المستغرب في موقف السكاكيني الذي لم يفصل كثيراً في رسائله لابنه حول ثورة القسم وجماعته بالرغم من اطلاعه على ما كانت تنشره جريدة فلسطين عن تلك الجماعة، علماً أن الجريدة بعد استشهاد القسم تداركت موقفها من المصطلح الذي أطلقتته على الجماعة، فقد وضعت صورة القسم على صفحتها الأولى في عددها الصادر في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٣٥، وجاء العنوان الذي وضعته بعبارة "ثلاثون ألفاً يشيعون للشهداء الأبرار، بينما وضعت أعلى الصورة عبارة "المرحوم الشيخ عز الدين القسم اجتهد ومات في سبيل فكرته رحمه الله، لقد كان مسلماً صحيح الإسلام" (١٢٧).

وعلى الرغم من أن حركة القسم لم تستمر طويلاً في عملها العسكري، وعلى الرغم أيضاً من أنها اقتصررت على مناطق محددة في فلسطين، إلا أنها شكلت منعطفاً حاداً في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية بتبنيها العمل العسكري، وكأنها جاءت كرد

فعل على سياسة زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية الذين كانوا يراهنون على الحكومة البريطانية بتغيير سياستها عبر نضالهم السياسي من خلال الوفود السياسية والاحتجاجات السلمية، ولا شك أن هذه الجماعة أخرجت موقف تلك القيادات أمام الشعب الفلسطيني. فجاءت لتشكيل النبراس الذي أضاء الطريق أمام الفلسطينيين للقيام بثورة عام ١٩٣٦.

ثورة عام ١٩٣٦

استمرت أبواب فلسطين مشرعة على مصراعيها أمام الهجرة اليهودية، كما استمرت حكومة الانتداب أيضاً في تسهيل انتقال الأراضي إلى اليهود، دون الاكتراث بمطالب العرب، ففي عام ١٩٣٤ بلغ عدد المهاجرين الذين دخلوا البلاد ٤٢.٣٥٩ مهاجراً وارتفع العدد عام ١٩٣٥ إلى ٦١.٨٥٤^(١٢٨) لتغدوا بذلك الهجرة في زيادة مضطردة وما يرافقها من طرد آلاف المزارعين العرب من أراضيهم وزيادة أعداد العمال العرب العاطلين عن العمل^(١٢٩).

أسهمت هذه الأوضاع في ازدياد النقمة الشعبية الفلسطينية على الإنجليز، لا سيما بعد أن أدرك الفلسطينيون أن السياسة الاستعمارية البريطانية باتت ترمي علناً إقامة الوطن القومي، وأخذ اليهود يقومون بعمليات تهريب الأسلحة تحت بصر السلطات البريطانية بل بإشرافها وحمايتها^(١٣٠)، وهو ما دفع خليل السكاكيني يكتب لابنه رسالة يوضح فيها تدفق المهاجرين اليهود وكيف أخذوا يظهرهم شرورهم تجاه عرب فلسطين فيقول "إن اليهود يكادون يغمرون البلاد، وإذا كانوا وهم لا يزالون أقلية يتنمرون ويستشرون فكيف إذا كانوا الأكثرية الساحقة، فلا نعجب إذن إذا ما قلنا أننا غير متفائلين خيراً، ولا يمر يوماً إلا ازددنا قلقاً"^(١٣١).

كان السكاكيني يدرك تماماً تأثير الوكالة اليهودية في السياسة البريطانية بل وفي السياسة الأوروبية عامة، لما كانوا يتمتعون به من سيطرة إعلامية ونفوذ مالي، فيرى أن الصحافة البريطانية يهودية أو تحت النفوذ اليهودي، والكنائس يهودية أو تحت النفوذ اليهودي، ورجال السياسة يهود أو تحت النفوذ اليهودي والمدارس يهودية أو تحت النفوذ اليهودي، والأدب والفن من موسيقى وتمثيل وسينما وغير ذلك لا يخلو من الصبغة اليهودية، وهذا النفوذ اليهودي ليس جديداً بل هو قديم، فإن اليهود ما يزالوا

منذ مئات السنين يربون الإنجليز تربية خاصة تهودوا بها وهم لا يشعرون^(١٣٢). فاليهود كانوا أصحاب نفوذ واسع يضاهيه أي نفوذ، بل إن أوروبا كلها كما يقول مستعمرة لهم يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، ويتحكمون برجال السياسة والصحافة والعلم والدين ، بل بمقدورهم أن يسخروا أوروبا ويسوقوها سوق الأنعام في سبيل خدمة أغراضهم وقضاء حاجاتهم^(١٣٣).

واعتبر السكاكيني في رسالة أخرى أن أوروبا هي أصل البلاء، وعاب عليها أن تكون سياستها خاضعة للحركة الصهيونية وأن تكون أيضاً مستعمرة للآخرين، فيقول "لعار عليك أن تكوني مستعمرة، ولعار عليك أن تكوني في سياستك خاضعة لنفوذ اليهود، أما من دولة فيك تكره الاستعمار؟ أما من دولة فيك أبت عليها كرامتها أن تكون آلة في اليهود". وأشاد بألمانيا التي تحررت من النفوذ اليهودي، مبدياً تفاؤله بوجود القرائن التي تدل على أن هناك حركة في كل دولة من الدول الأوروبية تسعى للتحرر من النفوذ اليهودي، أما الاستعمار فإن "أجله قصير، لا بد أن يجيء زمان تستهجنين فيه الاستعمار فيزول من العالم كما زال الاسترقاق، وكما زال الإقطاع، وكما زالت الحكومات المطلقة المستبدة، وستجيء أول ضربة للاستعمار من ألمانيا وإيطاليا"^(١٣٤).

ويلوم السكاكيني كل من فرنسا وبريطانيا اللتين غدتا آلتين مسخرتين بيد اليهود لفرنسا التي أنجبت القواد العظام وحملت مشعال العلم والفلسفة والأدب والفن دهرًا طويلًا عقلت فلم تجد من يصلح لأن يتولى رئاسة وزرائها غير يهودي، أما بريطانيا التي تدعي بأنها أرقى الأمم وكانت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، هذه الأمة كما وصفها "الحرّة الشريفة الغنية العظيمة القوية الجبارة"، لا تتورع أن تحجل أن تكون أداة طيعة بيد اليهود يتحكمون بسياستها، فلا يمر يوم إلا رأينا من استخذاؤها لليهود وانقيادها لهم ما يدل على أنها بلغت الهرم، بل أشرفت على الخرف" ويختم قوله أن أوروبا بحاجة إلى تجديد شبابها، ولعل هتلر وموسوليني على حد زعمه هما اللذان سيتوليان تحقيق ذلك وتطعيمها بدم جديد^(١٣٥). ويستمر السكاكيني في تقريره للحكومة البريطانية لإتباعها سياسة المحاباة لليهود وتحيزها العلني لهم حتى غدوا يتحكمون بسياستها فيقول "لا شك أن الحكومة الانجليزية قد أفلست، وسقطت قيمتها إلى درجة الصفر... من يقم وزناً لحكومة يسخرها اليهود كما تسخر الآلة الصماء، ما أحرك أوتها

أن تخجلي، بل ما أحراك أن تتمني أن تنشق الأرض وتبتلعك .. لو كنت انجليزياً لثبأت من الأمة الإنجليزية^(١٣٦).

وبالرغم من أن السكاكيني كان يبدي تخوفه وقلقه على مستقبل البلاد من جراء السيل الجارف للهجرة اليهودية، ويعبر عن ذلك برسالة بعثها لابنه في شهر تموز ١٩٣٤ تناول فيها نيته في شراء قطعة أرض لبناء دار عليها، غير أنه أبدى تخوفه أنه وقبل شراء تلك القطعة سيسيطر اليهود على البلاد فقال "أخشى قبل أن نقر على شراء قطعة أرض أن ينتزع اليهود البقية الباقية في الأرض وسهلها وجبالها"^(١٣٧). وكأنه في هذه الرسالة كان يعلم أن قطعة الأرض التي اشتراها في حي القطمون في القدس الغربية، بعد أن استلف قرضاً من البنك العربي لدفع ثمنها، وبني عليها داراً كانت تعد من أفخم دور ذلك الحي سيؤول بأكمله للسيطرة اليهودية عام ١٩٤٨.

وبالرغم من حالة القلق التي كانت تساور السكاكيني من التغلغل الاستعماري الأنجلو صهيوني، إلا أنه بقي متفائلاً بأن يبقى عرب فلسطين متمسكين بأرضهم، فبعد خمسة أشهر من الرسالة السابقة كتب رسالة عبر فيها عن تفاؤله في فشل الصهيونية بتحقيق أطماعها في البلاد، فيقول "لا أزال متفائلاً جداً. ولا أزال أعتقد أن اليهود يحاولون أن يبنوا وطنهم القومي على شفا جرف هاو .. إن اليهود ومع ما أصابوا من النجاح في امتلاك الأرض، فإنهم لم يملكوا إلى اليوم ما يزيد عن مليون نصف من الدونمات، وإذا نجحوا في الماضي لغفلة العرب وسذاجتهم فإنهم لم ينجحوا في المستقبل لأن الأمة العربية ابتدأت تستيقظ، إذا كان لليهود مستعمرات ضئيلة فقيرة فإن للعرب ألوفاً من القرى، نساfer من القدس إلى العفولة فلا نجد أثراً لليهود، ونساfer من القدس إلى الخليل إلى بئر السبع إلى غزه إلى خانيونس إلى المجدل أو الرملة إلى اللد إلى قلقيلية إلى طولكرم فلا نمر إلا في أرض عربية فأين ما يملكه اليهود مما يملكه العرب من فلسطين؟ ثم إن المهاجرة على نوعها المشروعة وغير المشروعة قد لا تزيد عن مواليد العرب فالكثرة في جانبينا"^(١٣٨).

غير أن هذا التفاؤل سرعان ما أن تلاشى منذ بداية الشهر الأول من عام ١٩٣٥، فبالرغم من شراء اليهود القليل من الأرض، إلا أنه إذا ما قيس المستقبل على الماضي

فإن الحالة في البلاد تدعوا إلى القلق، فإذا استمرت الهجرة وانتقال الأراضي إلى اليهود فإن "مصير البلاد مظلم، إذاً لا بد من التيقظ، لا بد من النهوض، لا بد من العمل"^(١٣٩). كانت الشرارة الأولى التي أدت إلى إشعال فتيل الثورة قد حصلت في مساء الخامس عشر من شهر نيسان عام ١٩٣٦ عندما أغلق عدد من الثوار الطريق المؤدية إلى قرية عنبتا، هاجموا خلاله قافلة يهودية من السيارات الصغيرة، وقد أسفر هذا الهجوم عن مقتل أحد اليهود وجرح اثنان توفي أحدهما بعد خمسة أيام. وفي اليوم الثاني قام اليهود بالانتقام فقتلوا عربيين على طريق ملبس - رعنانا^(١٤٠). جاء أول رد فعل لمقتل العرييين من مدينة يافا حيث وقعت فيها الاضطرابات والاصطدامات الدموية، وأعلن في ٢٠ نيسان الإضراب الشامل في أسواقها ومينائها^(١٤١).

وردت أول إشارة من السكاكيني لهذه الأحداث في رسالة بعث بها لابنه يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٦/٤/٢١ أي بعد ستة أيام من اندلاع الشرارة، وبالرغم من أنه بعث له برسالتين بعد وقوع الحادثة، الأولى مؤرخة في يوم الخميس الموافق ٤/١٦ والثانية مؤرخة في يوم السبت ٤/١٨ غير أنه لم يشر إلى أي من التطورات التي حصلت خلال الأيام الأربعة الممتدة ما بين ٤/١٨-١٥ على الرغم من أنه ذكر له في رسالة السبت المؤرخة في ٤/١٨ أنه كان في مهمة وظيفية في كل من مدينتي الرملة ويافا^(١٤٢). ولا ندري سبب عدم اكتراث السكاكيني للحديث عن الأحداث التي وقعت إلا إذا لم يسمع عنها وهو أمر مستبعد أو أنه اعتبرها حدثاً عابراً لم يحظ باهتمامه.

أما في رسالته المؤرخة في يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٦/٤/٢١ فقد وضح فيها الفرق بين الحرب والثورة من حيث الفئات المشاركة والسلاح المستخدم والأنظمة والقوانين، فيرى أن الحرب أهون بكثير من الثورات، فالحرب لا يخوضها إلا الجنود، بينما يشترك في الثورة كل الناس بمختلف الأعمار والجنس من كبار وصغار ورجال ونساء وأطفال، أما السلاح المستخدم في الحرب فهو الرصاص، بينما سلاح الثورات الرصاص والحجارة والخناجر والزجاج والنباييت، ولا يجهز في الحرب على جريح، أما الثورات "فما أكثر فظائعها، تمزق فيها الأجسام تمزيقاً، تطحن طحناً، تدق دقاً تحرق حرقاً، تخنق خنقاً، تسحق سحقاً"، كما أن الحرب لها أنظمة بينما لا يوجد في الثورات أنظمة ولا قانون،

واعتبر أن الحرب أهون من الثورات، ففي الحرب ينحصر القتال بين فريقين هجوماً ودفاعاً، أما الثورات فكل إنسان يكون في خطر من حيث يدري أو لا يدري^(١٤٣).

وبين في هذه الرسالة استعدادات اليهود على الحرب والقتال من خلال تدريب فتيانهم وتهريب السلاح وتشكيل الجمعيات السرية، ومع ذلك فلن يكون لديهم القدرة على مواجهة العرب الذين لا يمتلكون سلاحاً سوى العصي والنباتات والخنجر والحجارة. وذكر إن أكثر القتلى والجرحى العربي كانوا من الجند البريطاني. وأضاف أن الحكومة واليهود أدخلوا مستعمراتهم ونقلوا سكانها إلى تل أبيب. أو القدس تحت حراسة الجيش البريطاني على الرغم من أن الثورة كانت "على أبواب عاصمة اليهود تل أبيب، فكيف لو امتدت إلى كل فلسطين"^(١٤٤).

كان أو تأييد سياسي وشعبي ودعم فعلي ليافا قد صدر عن مدينة نابلس. فعلى الصعيد الشعبي كتب السكاكيني رسالة في ١٩٣٦/٤/٢٥ أي بعد وقوع أحداث يافا بنحو أسبوع، ذكر فيها أنه سمع عبر الصحف أن مدينة نابلس أعلنت الجهاد الديني وذلك أن أحد شيوخ الطرق الصوفية في المدينة ذهب إليه بعض الفتيان من الشعب الساذج وقالوا له تعال نعلن الجهاد الديني ونزحف إلى يافا، فأخرج طبوله وأعلامه فضرب بالطبل ورفع الأعلام وسار وسارت الجماهير وراءه، ولم يكونوا يقطعون شيئاً من الطريق إلا انضم إليهم الفلاحون من القرى المجاورة، والعيون محمرة والنفوس ثائرة والغضب يغلي في الصدور، ولولا أن الحكومة استعانت بوجوه البلاد وذوي المكانة فيها فجاؤوا وأقنعوا الشعب أن الأمر لا يحتاج إلى كل هذا، لمضوا في زحفهم وتبعتهم البلاد بأسرها^(١٤٥).

أما على الصعيد السياسي فقد تمثل بعد اجتماع تقرر فيه إعلان الإضراب العام في المدينة ودعوة كافة المدن الفلسطينية أن تحذوا حذو مدينة نابلس بتشكيل لجان قومية تتولى إدارة الحركة الوطنية في منطقتها^(١٤٦). وعلى أثر هذه الدعوة بادرت مختلف المدن الفلسطينية بتشكيل تلك اللجان، وعقدت أول اجتماع لها في مدينة القدس في ٧ أيار ١٩٣٦ اتخذت فيه عدة قرارات، أهمها الامتناع عن دفع الضرائب ابتداءً من الخامس عشر من أيار عملاً بالقاعدة المشهورة لا ضرائب دون تمثيل، وتقرر الاستمرار في الإضراب ومقاطعة اليهود، وتكليف اللجنة العربية العليا للطواف في البلاد من أجل

استنهاض الهمم وتقوية الإيمان. أما بشأن اشتراك الموظفين في الإضراب فقد ترك الأمر فيه إلى اللجنة العليا لتعلنه حين الضرورة^(١٤٧).

استمر الإضراب وعمت مختلف المدن الفلسطينية مظاهرات فشلت القوات الإنجليزية في التصدي لها، واستمرت حكومة الانتداب في إهمال المطالب العربية ما أدى إلى ازدياد إصرار العرب وتصميمهم على تحقيق مطالبهم المتمثلة بوقف الهجرة ومنع انتقال الأراضي وتشكيل حكومة وطنية^(١٤٨)، وتم الإعلان عن المقاطعة والعصيان المدني ما أدى إلى طلب المندوب السامي من وزارة المستعمرات دعم حكومة الانتداب بمبلغ قيمته مئة ألف جنيه لدفع رواتب الموظفين^(١٤٩).

حرص السكاكيني أن ينقل لابنه أخبار الثورة وبطولاتها بشكل مفصل، ففي رسالة بعثها يوم الأربعاء الموافق ١٠ حزيران ١٩٣٦ بين له فيها أن الثورة أخذت تتطور تطوراً سريعاً، فبعد أن كانت محلية مقتصرة على بعض المناطق أصبحت شاملة في كافة المواقع، وغدت البلاد تتسابق في البطولة، تقطع المواصلات وتسيطر على الطريق وتقطع الأسلاك التلفونية وتقتلع أعمدة الكهرباء وتنسف الجسور والخطوط الحديدية، كما تهاجم مراكز الجند ومخيماته ودور الحكومة حتى وصل الأمر إلى مهاجمة دار المندوب السامي نفسه^(١٥٠).

وذكر أن بعض المعارك كانت تمتد ساعات طويلة، ويشارك فيها الجيش البريطاني بمختلف وسائله الحربية والقتالية من طائرات ودبابات لمواجهة عدد قليل من الثوار وكأنه هناك ثواراً من رجال الحرب القدماء ممن اعتادوا خوض المعارض، لا فإن الثوار الذين يقفون أمام الجند هم من الفتيان الصغار ممن تتراوح أعمارهم بين السابع عشر والثامن عشر من العمر، ولم يكن عددهم في هذه المعارك الشديدة يتجاوز الأربعة أو الخمسة^(١٥١)، وكانوا في معظمهم من طلاب المدارس الذين لا ينسحبون من المعركة إلا بعد أن تنفذ ذخيرتهم، ولا يسقط منهم من يسقط إلا مثخناً بالجراح^(١٥٢).

وبين السكاكيني كيف كان بعض من الثوار يصر على الالتحاق بالثورة وشراء السلاح من ماله الخاص ما يعكس روح التضحية والنضال ومقاومة المستعمرين، فقد بلغ الأمر لدى بعضهم أن يبيع حيواناته التي يعيش منها أو عربته التي يشتغل عليها أو

يرهن أرضه ليشتري سلاحاً، بل وصل الأمر عند بعضهم أن يزوج ابنته قبل أوان زواجها ليشتري بمهرها سلاحاً وإذا لم يجد سلاحاً فقد يسيطر على مخازن السلاح أو يهجم على الدبابات أو على الجند والبوليس أو البغال التي تحمل السلاح للجند ليحصل على قطعة من السلاح يقاتل بها"^(١٥٣).

ويصور الصراع لابنه بأنه ليس صراعاً بين الحكومة والفلسطينيين أو بين العرب واليهود، وإنما صراع بين حاييم وايزمان والحاج أمين الحسيني "أصبرهما، وأسرعهما خاطراً، وأبعدهما نظراً، وأصلبهما عوداً، كان النصر في جانبه"، ويبيدي تفاؤله أن النتيجة ستكون لصالح الحسيني فأين "وايزمان وأبو وايزمان من الحاج أمين سيد شباب العرب"، أما موقف الحكومة فهي كما يقول حائرة بين الاثنين، وتحاول "الضغط على العرب لتعجم عودهم لتعلم صلابته من رخاوته، ولم يخطر لها في بال أن الحاج أمين ينزل إلى الميدان، ولعلها كانت تعتقد أنه طوع أمرها ورهن إشارتها"^(١٥٤).

لقد كتب هذه الرسالة بعد بدء الاضطرابات بأكثر من شهر، وبعد تشكيل اللجنة العربية العليا التي تولى الحاج أمين الحسيني رئاستها بـ ٢٨ يوم حيث تشكلت في ١٩٣٦/٤/٢٥، وبالتالي فإن الحاج أمين الحسيني لم يكن له أية علاقة بتفجير الوضع، كما أن حصر السكاكيني للصراع بين شخصين يعد تقزيماً لهذا الصراع، فمع أن الصراع كان بالدرجة الرئيسة بين العرب واليهود، غير أن الحكومة البريطانية التي وصفها في رسالته بالحائرة بين الاثنين لم تكن نزيهة فلولا مساندتها ودعمها وتواطؤها مع اليهود لما كان بمقدور اليهود الصمود والثبات في وجه الفلسطينيين، وبالتالي فالصراع كان بين العرب من جهة والحكومة البريطانية والصهيونية من جهة أخرى.

الإجراءات البريطانية لوقف الإضراب وقمع الثورة:

يفصل السكاكيني في رسائله لابنه الإجراءات والتدابير المشددة التي اتخذتها سلطات الانتداب البريطاني منذ إعلان الإضراب لإجبار الفلسطينيين للتوقف عن الاستمرار في الإضراب، فقد أعلنت الأحكام العرفية وقانون الطوارئ، ومنعت التجوال من الساعة الثامنة ليلاً وحتى الساعة السادسة صباحاً^(١٥٥)، غير أن الحركة الوطنية في نابلس ردت على هذا الإجراء بالإعلان عن أن كل جندي بريطاني يخرج بعد الساعة السابعة صباحاً يلقي القبض عليه^(١٥٦).

وحاولت الحكومة حمل الأهالي على إلغاء الإضراب بدعوى أنها تنظر في الأمر وسترسل لجنة للتحقيق، غير أن الفلسطينيين ردوا على ذلك بالاستمرار في الإضراب حتى يتم وقف الهجرة ومنع انتقال الأراضي لليهود وتشكيل حكومة وطنية^(١٥٧).

وأخذ المندوب السامي يلوح باستخدام القوة، ففي ١١ أيار ١٩٣٦ ألقى خطاباً عبر الإذاعة استخدم فيه نبرات التهديد والوعيد، مشيراً إلى استقدام قوة عسكرية من بريطانيا ستقمع الثورة بالقوة، فذكر أنه طلب إرسال أورطة من المشاة وكتيبة من الدبابات وبعض السيارات المصفحة، وأضاف أنه تم إلقاء القبض على نحو ستين شخصاً، واختتم خطابه قائلاً: "إني لا أدين بالتكتم، وأود أن يعلم الجميع الذين يحاولون الخروج عن القانون أن الحكومة ستعاقبهم بشدة، وأود أن يعلم كافة السكان أن بوسعهم أن يبقوا مطمئنين لأن الحكومة ستتخذ جميع الطرق لحماية الأشخاص وأملاكهم"^(١٥٨).

وقد رد عليه خليل السكاكيني برسالة قدمها للصحف الفلسطينية لنشرها إلا أنها رفضت ذلك خوفاً من ردة فعل المندوب السامي بإغلاقها، ويسخر السكاكيني في هذه الرسالة من خطاب المندوب السامي مبدئياً عدم استغرابه من لغة التهديد التي استخدمها لأنه يعبر عما يجول في خاطره، وقد شبهه بموسوليني في إيطاليا الذي اعتاد لغة التهديد والوعيد في خطابه، وأكد السكاكيني في رده على هذا الخطاب أن الشعب الفلسطيني مصمم على الدفاع عن حقوقه، واختار بداية إعلان الإضراب بطريقة سلمية، إلا أنه لن يتردد في اللجوء إلى الثورة في حال استمرار الحكومة البريطانية تجاهل تلك الحقوق. ومما جاء في رسالة السكاكيني "سمعتك ليلة أمس تتكلم، ولو لم أفهم ما قلته لفهمت أنك تهدد لأن صوتك كان ينم عما كان يجيش في صدرك من الغضب، بل خيل إلي أنني أراك تتلفت يميناً وشمالاً، أما وجهك السمع فقد أربد، وأما أعصابك الهادئة فقد اضطربت، وأما صدرك الساكن فقد عاد كالبركان الهائج، وأما يدك الكريمة فقد تقبضت، بل خيل إلي أن موسولينا آخر يتكلم. سمعتك وفهمت، ولكن كنت أنتظر أن أسمع أن الأمن مستتب، وأن المياه عادت إلى مجاريها، أو دولتك الجبارة قد عادت إلى رشدها، وعزمت أن ترجع عن سياستها الخرقاء، فتترك العرب وشأنهم، فقد كفاهم ما عانوا ويعانون من الشقاء والبلاء منذ الاحتلال إلى يومنا هذا، بل كنت أنتظر أن تبحث

عن أسباب هذه الفتن المتوالية، ولم تكن فيها إلا مدافعين لتزييلها، ومهما يكن الأمر فإن التهديد لا يفيد، وسواصل الجهاد بالطرق السلمية، إلى أن يقضي الله أمراً كان معقولاً" (١٥٩).

لم تكن الحكومة البريطانية تتوقع انتشار الثورة في مختلف أرجاء فلسطين كالنار في الهشيم، ويصف السكاكيني الوضع في رسالة كتبها لابنه مؤرخة في ٥ أيار ١٩٣٦ ذلك حيث إطلاق الرصاص، وإلقاء القنابل وحرقت مستعمرات وحقول القمح وغابات وبيوت ودكاكين، وقطع أسلاك التلفون والتلغراف، ولا يمر يوم إلا تطورت الأحوال من سيء إلى أسوأ (١٦٠).

ونتيجة لذلك أخذت الحكومة البريطانية بالعمل على كبح جماح الثورة بشتى الأساليب والطرق، فعطلت كافة الصحف الفلسطينية ومنعتها عن الصدور (١٦١). وعدلت قانون الطوارئ نحو المزيد من الشدة والإرهاب فجعلت عقوبة الإعدام أو الحبس المؤبد لكل من يطلق النار على الجيش أو البوليس، ولكل من يرمي قنبلة أو يعمل على تخريب الممتلكات العامة، وقامت بحملات الاعتقال بحق كل من كانت تشك بعلاقته بالثورة بما في ذلك القيادات السياسية من رؤساء الأحزاب والمسؤولين في مختلف النشاطات السياسية واللجان القومية (١٦٢). وحشدت قوات كبيرة وزعتها على قمم الجبال والأودية والسهول والطرق "فكيف التفت فلا ترى إلا جنوداً في سلاحهم الكامل، وإلا الدبابات والمصفحات عليها الرشاشات، وقد جعلت منذ حين تحمل المدافع الجبلية الكبيرة لتنسف الكهوف أو البيوت التي قد يلجأ إليها الثوار (١٦٣). واحكمت القوات العسكرية سيطرتها على مختلف أنحاء البلاد، كما سيطرت على المدارس والفنادق والأديرة والكنائس، وعلى السهول والجبال لتطويق الثورة وتضييق الخناق عليها (١٦٤). ويصف السكاكيني أن تلك القوات كانت تتسلق الجبال وتهبط الأودية وتفتش الكهوف بحثاً عن الثوار. ويروي إحدى القصص التي تدل على مدى تخبط الجند البريطاني خلال بحثهم عن الثوار في جبال نابلس حيث صادفوا فلاحاً يسوق حملاً فأوقفوه وفتشوه، فوجدوا معه شفرة علاها الصدا، ولما سأله قائد القوة عن سبب حمله تلك الشفرة، أجابه الفلاح بأنه يستخدمها لحلاقة ذقنه، غير أن القائد انتبه إلى أن الفلاح ذو لحية فأمر باعتقاله، ويعلق السكاكيني على هذه الحادثة مبدئاً سخريته من تصرف قائد الثورة بقوله "وهكذا انتهت

هذه المناورة العظيمة بالحجز على فلاح يحمل شفرة حلاقة، وأنه لنصر عظيم يسيطر للحكومة الإنجليزية بماء الذهب. يا أيها الفلاح الخبيث ذو شفرة الحلاقة، لقد كنت خطراً على الجيوش كلها، أما وقد أمسكتك فقد زال الخطر واستتب الأمن، لذلك لا عجب أن يذيع المندوب السامي الليلة بالراديو رسالته الخصوصية التي قال فيها أن الحكومة الإنجليزية قوية جداً، وأنها مستعدة أن ترسل قوات جديدة تخمد الفتنة، وأن شفرات الحلاقة التي يعلوها الصدا لا تخيفها^(١٦٥). وبالإضافة إلى إطلاق الرصاص وإلقاء القنابل، استخدمت السلطات البريطانية الغاز الخانق بحق الثوار كما حصل في معركة نور شمس، ويعلق السكاكيني على ذلك بقوله "يا للعار، الغاز الخانق يا إنجلترا؟ يا للعار ثم يا للعار"^(١٦٦).

ولم تتورع الحكومة للانتقام من الأهالي من خلال فرض الغرامات والعقوبات الجماعية ونسف البيوت أمام أعين سكانها في العديد من القرى والمدن، وكان من أبشع عمليات النسف التي قامت بها نسف الحي القديم في مدينة يافا بعد أن أُنذرت سكانه بإخلائه خلال ٢٤ ساعة^(١٦٧).

وفي منتصف شهر أيلول ١٩٣٦ قامت الحكومة بإجراء استفتاء عام في المدن والقرى خيّرت الأهالي بين أن يوقفوا الإضراب من تلقاء أنفسهم وبين أن توفقه الحكومة بالقوة، غير أن الأهالي أجابوا بالاستمرار في الإضراب، ويخاطب السكاكيني ابنه قائلاً "وأين ذهبت لا تسمع إلا قولهم "أكثر من القرد ما مسخ الله" والذي يسقط من السماء تتلقاه الأرض" وليشربوا البحر"^(١٦٨).

واعتبر السكاكيني أن هذه الثورة شكلت علامة بارزة ومحطة مهمة في تاريخ حركة النضال الوطني الفلسطيني بعد حالة الضعف والوهن والانقسام التي اعترتها، فعلى الرغم من اقتصار الثورة بداية الأمر على يافا، إلا أنها ضعفت القوة المعنوية في صفوف اليهود، بل ردت الحركة الصهيونية سنين عديدة إلى الوراء، كما أنها أنشعت الحركة الوطنية، وأحيت القوى المعنوية في الصفوف العربية، وجعلت من القضية الفلسطينية قضية عربية، وإسلامية يشترك في الانتصار لها العالمان الإسلامي والعربي^(١٦٩).

وشكلت الثورة إعلاناً لإفلاس سياسة الحكومة وسوء نيتها وضعف موقفها، وقد أدرك العرب أن الحكومة لا تفهم المنطق ولا تقيم للحجة والاحتجاج والشكوى والتوسل واللين وزناً، وأن الطريق الوحيد للخلاص وإجبار الحكومة على تغيير سياستها هي الثورة، ومع ذلك فالحكومة تصر على قمعها بشتى الأساليب، فبدلاً من أن تبحث عن أسباب الثورة وتعمل على إزالتها، كانت "تلجأ في قمع الثورات إلى القوة فتبني مخافر جديدة للبوليس، وتعد قوة أكبر من الجند للطوارئ"، لذا كان السكاكيني يخاطب الحكومة بقوله "أيتها الحكومة كل هذه الاحتياطات لا تجدي نفعاً إذا كانت الأسباب باقية، إذا لم تغيري سياستك فلن تستريحي ولن يستريح اليهود"^(١٧٠).

وبالرغم من أن العالمين العربي والإسلام في بداية الأمر اقتصر دورهما على الاشتراك في الثورة من خلال التشجيع والتعاطف والمجاملة والإعانات المالية، إلا أنه "إذ جد الجدل فقد يشتركا في الثورة بالمال والرجال"، لذا يرى السكاكيني أن هذه الثورة أماطت اللثام عن حقائق الأمة العربية، إذ برهنت أن في هذه الأمة قوى كامنة لا يستهان بها وأن "هذه القوى هي التي دوخت العالم في صدر الإسلام، وردت الصليبيين على أعقابهم خلال الحملات الصليبية، فمع أن هذه القوى كانت كامنة حتى خيل إلى الناس أن الأمة العربية أصبحت ضعيفة لا تقوى على ثمة، إلى أن جاءت الثورة فظهرت هذه القوى التي وصفها بأنها قوى عظيمة جديدة أن تحل الأمة العربية في المكان العالي، "لقد كنت أخجل أن أنتمي إلى فلسطين قبل اليوم، وأما اليوم فإني لا أرى فخراً أعظم من أن أكون من أبنائها، فشكراً لهذه الثورة ثم شكراً لها"^(١٧١).

يبدو واضحاً مدى وعي السكاكيني بحقيقة الأمة العربية وإدراكه أنها لن تتخلى عن دعم القضية الفلسطينية إذ جد الجدل كما قال، فقد حظيت هذه الثورة بتأييد شعبي في العديد من الأقطار العربية، وتمثلت بالمظاهرات والاجتماعات العامة والمهرجانات الشعبية في تلك الأقطار، وكان أهم تعبير عن التضامن العربي مع القضية الفلسطينية واعتبارها قضية قومية هو تدفق المتطوعين العرب من سوريا والعراق ولبنان وشرق الأردن لرفد الثورة ودعمها وكان أهمها المجموعات التي ترأسها المناضل فوزي القاوقجي من العراق، فكانت دلالة ذات مغزى أكدت على عمق المشاعر القومية لدى الشعوب العربية والاستمرارية في وحدة الهدف والمصير^(١٧٢).

وبعث السكاكيني برسالة لابنه مبدئياً اعتزازه بهذه الأمة لدى وصول القاقوجي إلى فلسطين قال فيها "وحقك يا سري أن تفخر أن يكون في أمتك أبطال، بعد أن كاد الناس يعتقدون أنها عقت فلا تنجب أبطالاً، ألا شكراً للأزمات فإنها تخلق الأبطال، وأن أمة فيها أمثال هؤلاء الأبطال لأمة حية لا خوف عليها ولا هي تحزن" (١٧٣).

وأشاد السكاكيني بوعي الشعب الفلسطيني والتزامه بالقرارات الصادرة عن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية رغم أن هذا الإضراب كان أول تجربة للفلسطينيين، ومع ذلك فقد نجحوا في هذه التجربة بشكل يفوق تجارب الدول الأوروبية التي سبقت الفلسطينيين بفترة طويلة في الإضرابات، وإن كانت قد اقتصرت على الطبقة العاملة جزئياً دون أن تخوض إضراباً عاماً، فالإضرابات في تلك الدول كانت تنطلق من المعامل والمصانع يطالب فيها العمال بحقوقهم وتحسين أجورهم في الوقت الذي لم تكن فيه بلدان الشرق وفلسطين تعرف الإضراب عن العمل، وعلى الرغم من وجود الزعامات والجمعيات العمالية في تلك الدول، إلا "أننا لم نسمع أنهم قاموا بإضراب عام، وجل ما هناك أن يضرب عمال معمل واحد في بلد واحد لمدة يومين أو ثلاثة، وأين هذا من إضراب فلسطين، أمة بأسرها تضرب لا ليوم أو يومين ولشهر أو شهرين بل لنصف سنة لم يشذ فيها أحد، ما أحرى الغرب أن يأخذ دروساً عن فلسطين، ولم يقتصر الأمر على الإضراب، فقد كانت معه ثورة تشيب لها الولدان، ثم لما حان الوقت، وقف الإضراب ووقفت الثورة في دقيقة واحدة". ويبيد السكاكيني استغرابه واستعجابه من هذا الالتزام بالإضراب على الرغم أنه كان التجربة الأولى، ويستشهد بما قاله الشاعر الجاهلي

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (١٧٤)

ويذكر ابنه في هذه الرسالة بالأشودة التي نظمها أيام المدرسة الأرثوذكسية الوطنية لتكون حياً بما وقع في فلسطين، مبيناً فيها أن الشعب الفلسطيني قوم أبيض وأن تهاونهم لم يكن إلا تهوينا، فلما تهادى اليهود ومن خلفهم الاستعمار البريطاني في الطغيان "غدونا مجانين، ولقوا منا ما لم يكن لهم ولا لأحد في حسان". ومما قاله في تلك الأشودة (١٧٥):

نحن قوم أبيونا	لا نقرر الأذى فينا
لا نبالي منايانا	في سبيل أمانينا
يا بلاداً ورثناها	عن جدد ميامينا
ستظلم في عز	وأمان بأيدينا
لا يغر العدى منا	قد تمادوا تأيننا
ليس عجزاً تأيننا	إنما كان تهويننا
نلزم الحلم ما دمننا	لا نرى الحلم توهيننا
أن ظلمنا تجد أننا	قد غدونا مجانينا

ولعل أهم إيجابيات هذه الثورة كما يرى السكاكيني إفلاس السياسة البريطانية وكشف العالم حقيقة نوايا بريطانيا حتى الرأي العام الإنجليزي الذي "تحول أو على وشك أن يتحول إلى جانب الفلسطينيين"، علاوة على إدراك الإنجليز في فلسطين وفي خارجها أن حكومتهم يهودية أكثر منها إنجليزية^(١٧٦).

وعلى صعيد آخر، فقد بعثت هذه الثورة روح البطولة، فإذا كان العالم يخاف من الإنجليز ومن اليهود، فإن "فلسطين الضعيفة الصغيرة لم تحسب لهؤلاء وهؤلاء حساباً"، كما أن هذه الثورة تمكنت من توحيد كلمة الفلسطينيين فلم يعد هناك تنافس حزبي ولا حزازات عائلية ولا أهواء ولا أغراض شخصية، ومنها أنها طهرت الأمة من عيوبها فليس في البلاد اليوم من يبيع أرضاً أو يمسر على بيع أرض، أو يتجسس على العرب للحكومة أو لليهود، ولا يهرب سلاحاً لليهود، ويهرب يهوداً إلى البلاد^(١٧٧).

واعتبر السكاكيني أن فلسطين قبل هذه الثورة كانت ضائعة دون أن يلتفت إليها أحد في الخارج سوى أهلها في الداخل، فجاءت هذه الثورة لتعيد إحياء القضية الفلسطينية، فكتب يقول "لا بد أن يكتب تاريخ هذه الثورة، فيظهر من أعمال الأبطال ما لم يكن يخطر لأحد في بال، لا يذكر اسم فلسطين بعد اليوم إلا انحنى الهام لها إجلالاً، أما ماذا كانت نتيجة هذه الثورة فلا يتسع المقام للكلام عنها بالتفصيل، فأكتفي بأن أقول: أن فلسطين كانت ميتة فعاشت، وكانت ضائعة فوجدت"^(١٧٨).

دور الفلاحين في الثورة

شكل الفلاحون العمود الفقري في الثورة، لا سيما أنهم كانوا الأكثر تضرراً من سياسة الانتداب البريطاني، فقد شكلت الضرائب بمختلف أنواعها من ويركو وعشور وتعداد مواشي عبئاً ثقيلاً على الفلاح الفلسطيني، فكثيراً ما كان يضطر إلى اللجوء للمرابين للاستدانة منهم بالفائدة التي يحددونها، وكان معدل الفائدة الأكثر شيوعاً وفقاً لما ذكرته بعض لجان التحقيق البريطانية ٣٠٪ في السنة، ولم يكن غريباً أن يستدين الفلاح بفائدة ٥٠٪ لمدة ثلاثة أشهر، ما جعل تلك الديون تشكل عبئاً ثقيلاً على كاهله يعيقه عن كل محاولة يقوم بها لتحسين أساليب زراعته^(١٧٩)، علاوة على صعوبة تسويقه لمحاصيله في الوقت الذي كانت فيه السلطات البريطانية تفرق البلاد بمحصول القمح المستورد من أستراليا وبيعه بأسعار رخيصة لم يكن بمقدور الفلاح بيع محصوله من القمح بذلك السعر^(١٨٠). وبالنظر لعدم مقدرة الفلاحين المستدينين من تسديد ما عليهم من ديون، كانوا يضطرون للتنازل عن أراضيهم لصالح الدائنين من فئة المرابين سواء أكانوا من أبناء المدن أو أعيان القرى وشيوخها. مما أوجد في نهاية الأمر فئة من الفلاحين ممن لم يعد لديهم أرضاً يعتاشون منها، في الوقت الذي كانت تشكل فيه الأرض المصدر الرئيس لحياتهم، على عكس أبناء المدن أو كبار الملاك من أبناء المدن الذي كانوا يعتبرون الأرض سلعة اقتصادية يمتلكونها دون أن يعيشوا منها.

كان الفلاحون الفلسطينيون أكثر الفئات الاجتماعية تضرراً من سياسة الانتداب البريطاني من خلال سلسلة القوانين التي أصدرتها السلطات الحكومية بشأن الأراضي وانتزاع ملكيتها علاوة على بيع الملاكين الكبار من الأسر غير الفلسطينية لأراضيها للصندوق القومي اليهودي الذي كان يشترط على البائعين إخلاء تلك الأراضي من المزارعين العاملين فيها. ولذلك فليس من المستغرب أن تكون أول ردة فعل تجاه الثورة من قبل الفلاحين خاصة بعد أن أدركوا عقم سياسة اللين والاحتجاج التي اتبعتها الزعامات التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية في تعاملها مع حكومة الانتداب البريطاني، فغدت الثورة فرصة تاريخية للفلاحين ينبغي استغلالها لإجبار حكومة الانتداب لتغيير سياستها، فبعد فقدانهم الأرض لا خيار لهم إلا المقاومة. ولذلك فلم يعد مستغرباً أن يخرج الأمر بعد بداية الثورة من أيدي الزعامة التقليدية للبلاد ويصبح

في أيدي قيادات فلاحية ثورية نظمت نفسها بشكل تلقائي دون إشراف اللجنة العربية العليا التي تشكلت أواخر نيسان ١٩٣٦، وهو ما أكدته المندوب السامي البريطاني آرثر واكهوب في تقرير له لوزير المستعمرات البريطاني كتبه في ١٤/٥/١٩٣٦ ذكر فيه أن السياسيين والزعماء ورؤساء البلديات لم تعد لديهم قدرة على ضبط الأمور ووقف الإضراب بالنظر لقوة الرأي العام في جميع أنحاء العالم^(١٨١).

لذا ففي اليوم الثاني من بدء العصيان المدني في ١٥/٥/١٩٣٦ ظهرت مجموعات مسلحة في مناطق القرى والجبال أخذت تقوم بالاشتباك مع قوات الجيش البريطاني، وتعمل على تنفيذ عمليات عسكرية بحق مختلف المنشآت من جسور وطرق وسكك حديدية دون أن يكون لقيادة اللجنة العربية العليا أية علاقة بتلك المجموعات^(١٨٢) ما يعني اتساع الفجوة بين الزعامة التقليدية من جهة والثوار من جهة أخرى. وكتب السكاكيني يصف تلك المعارك في ذلك اليوم بقوله "يهبط الفلاحون من القرى على خيولهم وكلهم مسلحون بالبنادق الإنجليزية والإيطالية والألمانية يهزجون أهازيجهم الحماسية عند عينك عند عينك، يطلقون الرصاص، أين البوليس، أين الجنود؟ لا يسعهم إلا التواري والاختباء"، وأضاف في الرسالة نفسها مبيناً تدفق الفلاحين على المدن بالآلاف للمشاركة في المظاهرات فيقول "فلا نسمع إلا مظاهرات في نابلس حضرها عشرون ألف فلاح، وإلا مظاهرات في طولكرم، حضرها خمسة عشر ألف فلاح، وإلا مظاهرات في غزة، وأخرى في جنين"^(١٨٣).

ويروي السكاكيني أن المشاركة في الثورة في المناطق الريفية لم تقتصر على الرجال فقط، بل شاركت فيها النساء، ففي ٢٥/٥/١٩٣٦ وقعت اشتباكات بين الجند البريطاني والأهالي في إحدى القرى بالقرب من الناصرة، شاركت فيها نساء القرية اللواتي كن يلقين بالحجارة على الجند، ما أدى إلى استشهاد فتاة في العشرين من عمرها، وعلى أثر ذلك انهالت البرقيات في الجمعيات النسائية على المندوب السامي لتهنئته من باب السخرية بما نال جنوده من الظفر بمقتل تلك الفتاة^(١٨٤).

وبالرغم من الدور الرئيس الذي لعبه الفلاحون في الثورة، فقد رصد السكاكيني أيضاً دور أبناء المدن ونضالهم الوطني خلال الثورة، من ذلك العملية العسكرية التي قام بها سامي الأنصاري من القدس وكان عمره تسع عشرة سنة ويعمل أستاذاً في

المدرسة الرشيدية عندما هاجم اليهود لدى خروجهم من سينما أديسون في القدس الغربية وقتل ثلاثة منهم وجرح اثنين دون أن يلقي القبض عليه، وعلق السكاكيني على ذلك بقوله "لم يظهر إلى الآن بطولة مثل هذه، إذا استثنينا بطولة الشيخ القسام وعصابته" (١٨٥). وفي ١٣/٦/١٩٣٦ قام الأنصاري أيضاً بإطلاق النار على مفتش البوليس البريطاني المستر سيكرست والجندي المرافق معه على الطريق بين باب الأسباط وباب الساهرة في القدس وأصابهما بجراح خطيرة، غير أن الجندي المرافق أطلق عليه النار فسقط شهيداً، ويذكر السكاكيني أن مفتش البوليس كان شخصية وقحة لم يكن يتورع إهانة الكبير والصغير حتى كبار الموظفين العرب، وكان إذا دخل بيتاً من بيوت العرب يفتش عن سلاحاً يضرب النساء والأطفال ويتلف الأثاث، فتطوع الأنصاري ليخلص الناس منه، ومما يذكره السكاكيني أيضاً أنه لم يكن أحد يعرف من أطلق النار على الخارجين من سينما أديسون حتى أفصح وهو يلث أنفاسه الأخيرة لأخيه بأنه هو الذي قام بذلك العمل، ويكشف السكاكيني عن حقد الإنجليز عليه أثناء نقله في السيارة على المستشفى كيف قام الجنود الإنجليز في السيارة بضربه بأعقاب البنادق إجهاداً عليه وهو جريح" (١٨٦).

وساطة الحكام العرب لوقف الثورة

استخدمت الحكومة البريطانية كافة الوسائل المتاحة لها من أجل وقف الإضراب والثورة، غير أن تلك السياسة لم تثن عزيمة الفلسطينيين، ولا شك أنه تجلت في هذا العمل الوطني أول وحدة وطنية حقيقية في تاريخ حركة النضال الوطني الفلسطيني مسلحة بالاستعداد للتضحية وحرب العصابات والعصيان المسلح خاصة بعد مشاركة العشرات من المتطوعين العرب من خارج فلسطين (١٨٧).

ونتيجة لاستمرار الإضراب والخسارة الاقتصادية التي تكبدتها الحكومة البريطانية الناتجة عن نفقات الأمن والشلل الاقتصادي العام والبالغة وفقاً لأحد تقارير حكومة الانتداب نحو ٢.٢٥٠.٠٠٠ جنيه، لم يكن أمام بريطانيا وسيلة إلا الاتصال مع بعض الزعماء العرب للاتصال مع اللجنة العربية العليا في فلسطين وإقناعها بوقف الإضراب (١٨٨).

تكللت تلك الجهود عن صدور نداء في الثامن من شهر تشرين الأول عام ١٩٣٦ باسم الملك عبد العزيز آل سعود موجهاً لعرب فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا ذكر فيه أنه بالاتفاق مع ملوك العرب والأمير عبد الله بن الحسين "ندعوكم للإخلاء إلى السكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل". وفي اليوم الثاني الموافق ٩ تشرين الأول صدر نداء مماثل باسم الملك غازي في بغداد، ونداء آخر باسم الأمير عبد الله في عمان، وقد نشرت هذه النداءات في الصحف الفلسطينية في ١١ تشرين الأول ١٩٣٦^(١٨٩).

وفي الوقت الذي صدرت فيه هذه النداءات كانت الثورة مستمرة والمعارك محتدمة ما يدل على قدرة الفلسطينيين على الاستمرار في الثورة دون كلل أو ملل، ففي رسالة بعثها السكاكيني لابنه في يوم السبت الموافق ١٠ تشرين الأول ١٩٣٦ أي بعد يومين من توجيه النداءات السابقة وصف فيها في رسالة لابنه استمرار المعارك بشكل أقوى مما كانت عليه في السابق، فيقول "المعارك في فلسطين هائلة لم يسبق لها مثيل، والنصر بيد الله يؤتيه من يشاء، ولكن غداً سينشر نداء ملوك العرب بوقف الإضراب والاضطرابات، فإذا ظفرت الأمة بحقها في الحياة كان به، وإلا فالسيوف لا تزال في أعمادها، فإذا عشنا عشنا كراماً، وإذا متنا متنا كراماً"^(١٩٠).

تكشف هذه الرسالة عن إصرار الفلسطينيين في الاستمرار في الثورة حتى ينالوا مطالبهم الوطنية، وإن وقف الثورة لا يعني انتهائها، ففي الوقت الذي لم توف به الحكومة البريطانية بتعهداتها فستجدد الثورة "فالسيوف لا تزال في أعمادها"، فلا بديل عن العيش أو الموت بكرامة.

استجابت اللجنة العربية العليا لنداءات الحكام العرب، فأصدرت بياناً يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ وذلك بعد مرور ١٧٥ يوماً على الإضراب، دعت فيه الشعب الفلسطيني إلى إنهاء الإضراب استجابة لوساطة الحكام العرب وامتنالاً لإرادتهم ونزولاً على إرادتهم الذي يعد من "تقاليدنا العربية الموروثة". ودعت اللجنة في بيانها أبناء الشعب للذهاب في ذلك اليوم إلى أماكنهم الدينية لإقامة الصلوات على أرواح الشهداء، والخروج إلى مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة أعمالهم المعتادة، وشكرت اللجنة أبناء الشعب الفلسطيني في موقفهم التاريخي المجيد على ما بذلوه من تضحيات عالية وما

تكبدوه من خسائر فادحة بالأنفس والأموال وما أظهره "من جلد ليس فوقه جلد ومن صبر ليس فوقه صبر" (١٩١).

ويصف خليل السكاكيني حالة الشعب في ذلك اليوم قال فيها "كان يوم الاثنين من هذا الأسبوع الموعد لوقف الإضراب، والكف عن القتال، كنت تمر في الطريق قبل اليوم فلا تكاد تجد أحداً كأن البلاد خالية خاوية، فلما جاء يوم الاثنين عادت الحركة والحياة، فكيف التفت فلا ترى إلا رجالاً محمرة أحداقهم، ملفوحة وجوههم كأنهم راجعون من سفرة طويلة في الصحراء .. أين كان هؤلاء الرجال؟ دعاهم الواجب فلبوا" (١٩٢).

وبعد ذلك أوفدت الحكومة البريطانية لجنة ملكية للتحقيق في أسباب الثورة والعمل على إيجاد الحلول المناسبة للصراع العربي الصهيوني (١٩٣)، وعند وصولها إلى فلسطين في ١١ تشرين الثاني ١٩٣٦ قررت اللجنة العربية العليا مقاطعتها على أثر إصدار أورمسمبي غور وزير المستعمرات البريطاني قراراً يقضي باستمرار الهجرة اليهودية بجميع أنواعها، غير أن اللجنة العربية تراجعت عن قرارها بعد تدخل الحكام العرب وبخاصة الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي اللذان أرسلتا رسالة إلى الحاج أمين الحسيني جاء فيها "وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب، فقد رأينا أن المصلحة تقتضي بالاتصال باللجنة الملكية والإدلاء إليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم وأدعى لمساعدة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم" (١٩٤).

وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٩٣٧/١/١٢ اجتمعت اللجنة الملكية مع أعضاء اللجنة العربية العليا حيث أدت اللجنة العربية شهادتها أمام اللجنة الملكية، ويصف السكاكيني أن أجمل ما قيل فيها ما قاله الحاج أمين الحسيني أن الوطن القومي اليهودي يشكل خطراً كبيراً على استقلال العرب وأماكنهم المقدسة، وكان مما قاله أن أحد الحاخامية اليهود كتب له قبل فترة يقول "ردوا الهيكل إلى أصحابه"، ما دفع رئيس اللجنة الملكية لمخاطبة الحاج أمين الحسيني قائلاً "أو تظن أن الحكومة البريطانية تسمح أن يبنى الهيكل على أنقاض الحرم؟ فرد عليه الحاج أمين قائلاً: "إن الحكومة التي سمحت أن يبنى الوطن القومي على أنقاض وطن آخرين لا يستبعد منها أن تسمح أن يقوم الهيكل على أنقاض الحرم" (١٩٥).

استمرت اللجنة في سماع الشهادات من مختلف الأطراف العرب واليهود والإنجليز حتى يوم الثلاثاء ١٩٣٧/١/١٩ حيث عقدت آخر جلسة، وقد بسط عرب فلسطين قضيتهم بكل تفاصيلها أمام أعضاء اللجنة، ولم يسبق لأهل فلسطين العرب كما قال السكاكيني أن بسطوا قضيتهم كما فعلوا هذه المرة^(١٩٦).

وفي ١٩٣٧/٧/٨ أصدرت اللجنة الملكية خلاصة تقريرها والسياسة الجديدة التي على الحكومة البريطانية اعتمادها، ويفسر السكاكيني ذلك أن السياسة السابقة التي اعتمدتها الحكومة في فلسطين تعني فشلها وإفلاسها، وييدي عدم تفاؤله بالسياسة الجديدة التي "ستفلس بعد حين". ويتابع رسالته قائلاً "مر على فلسطين دور كاد العرب يعتقدون فيها أنهم سيخسرون كل شيء، وكان اليهود يعتقدون فيه أنهم سيأخذون كل شيء، فلسطين وشرق الأردن وسوريا والعراق وقد يتوسعون فيملكون العالم، وأما ليلة أمس فقد دخلت فلسطين في دور جديد ظهر فيه أن اليهود لم يأخذوا كل شيء، وأن هذه الآمال الواسعة مسخها الله فكانت أقصر من ظل حصان، وأن العرب لم يخسروا كل شيء" وييدي تفاؤله قائلاً "ولا بد أن يجيء زمان تدخل فيه فلسطين في دور ثالث وهو الدور الأخير، لا يخسر العرب فيه شيئاً ولا يملك اليهود فيه شيئاً"^(١٩٧).

ليس من الواضح على أي أساس بنى السكاكيني تفاؤله، وعلى أي أساس أيضاً بنى توقعه بأنه سيأتي دوراً ثالثاً لا يمتلك اليهود فيه شيئاً، ومن الغريب أن يكون هذا التوقع جاء من قبل شخص واع بالأطماع الصهيونية وبالسياسة البريطانية، لكن من الواضح أنه لم يكن يتوقع عندما كتب هذه الرسالة أن العرب بعد نحو أحد عشر عاماً سيخسرون ثلاثة أرباع فلسطين التي ستقام عليها الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨. وسيكون السكاكيني من بين الناس الذين فقدوا بيوتهم وحلت محله فيه أسرة يهودية، وما زالت تقيم فيه حتى الآن.

لكن يبدو من الواضح أن السكاكيني لم يكن قد اطلع على تفاصيل تقرير اللجنة الملكية وإلا لما كان متفائلاً ولما بنى تلك التوقعات، فقد تضمن تلك التقرير تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية مع منطقة ثالثة انتدابية تشرف عليها الحكومة البريطانية وتشتمل على مدن القدس وبيت لحم والناصرة، مع تبادل الأراضي والسكان في كلتا الدولتين المقترحتين بحيث لا تتعرض أي منهما لمشكلة الأقلية^(١٩٨).

وبناءً على هذا التقرير أصدرت اللجنة العربية العليا مذكرة في ١٩٣٧/٧/٢٣ قدمتها إلى لجنة الانتدابات الدائمة ووزارة المستعمرات، أكدت فيها على رفضها تقرير اللجنة الملكية، وبيّنت فيها أن الحل الوحيد لتوطيد الأمن والسلام في فلسطين ينبغي أن يقوم على مجموعة من الأسس، أهمها الاعتراف بحق العرب في الاستقلال التام في بلادهم، والعدول عن تجربة إنشاء الوطن القومي اليهودي، وإنهاء الانتداب البريطاني واستبداله بمعاهدة مماثلة للمعاهدتين البريطانية مع كل من العراق ومصر والمعاهدة الفرنسية السورية، وتنشأ بموجبها في فلسطين دولة ذات سيادة، وأن يتم وقف الهجرة اليهودية وانتقال الأراضي لليهود ريثما يتم أمر عقد هذه المعاهدة^(١٩٩).

الخاتمة

لم يكن السكاكيني أديباً فحسب، بل كان مؤرخاً تمكن من رصد أهم التطورات السياسية التي مرت بها القضية الفلسطينية خلال الفترة ١٩٣١-١٩٣٧ وتأريخها بصفته شاهد عيان ومعاصر للحدث، تمكن من وصف تلك التطورات ومجريات الأحداث، فجاءت تلك الرسائل لتشكل وثيقة تاريخية ووطنية مهمة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية لما تضمنته من معلومات قيمة وغنية وغزيرة لا يتوفر الكثير منها في المصادر المخطوطة والمطبوعة لتكون بذلك ثروة نادرة للباحث والمؤرخ للتاريخ السياسي والوطني للقضية الفلسطينية.

لقد كشف السكاكيني في رسائله حالة الضعف التي كانت تعترى القيادة السياسية للحركة الوطنية الفلسطينية، وما كانت تعانيه من انقسام وصراع بين صفوفها، ما انعكس على أدائها في مقاومة الاستعمار والصهيونية، مبيّناً أن ثورة عام ١٩٣٦ التي كانت امتداداً لحركة الانقسام جاءت لتعيد النفس والأمل لتلك القيادة والشعب. فشكّلت بذلك مفصلاً تاريخياً ومحطة بارزة في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني. وأجبرت سلطات الانتداب البريطاني أن تدعن ولو مؤقتاً لمطالب الفلسطينيين.

لقد دوّن السكاكيني في رسائله لابنه الأدوار التي مرت بها القضية الفلسطينية، والأحداث والتطورات التي عصفت بها والتي كانت في غاية الأهمية والخطورة لتفرض اتجاهات جديدة للنضال الوطني الفلسطيني، فجاءت المعلومات التي قدمها بمثابة تاريخاً

للزمن الذي عاش فيه، وعرضاً مفصلاً لتلك الأحداث والتطورات ما أضفى على تلك المعلومات طابع الأصالة والابتكار.

كما أظهرت الدراسة أن السكاكيني امتاز بنزعة وطنية حقة، فكان بذلك مدرسة وطنية، حرص أن يغرس في أسرته وتلاميذ المدارس ومعلميها الروح الوطنية مستهضاً فيهم الهمم، فقد كان مدرّكاً لأبعاد الخطر الصهيوني ليس على فلسطين وحدها بل على الأمة العربية بأسرها لما امتاز به من رؤية واضحة لهذا الخطر مدرّكاً كبره وفداحته. لذا فقد آمن بالوحدة العربية وخاصة الوحدة السورية كوسيلة لسد الطريق أمام الأطماع الصهيونية فكانت التجزئة هاجسه الأكبر مدرّكاً أنها الجسر الذي من خلاله ستمكن الصهيونية والاستعمار من تحقيق أهدافها.

هوامش البحث

- (١) ولد نخلة جريس زريق في بيروت وتلقى تعليمه في مدرسة بطرس البستاني، جاء إلى القدس عام ١٨٨٩ ليعمل في إدارة مخازن بيع الكتب التابع للإرسالية التبشيرية الإنجليزية، ثم تسلم في عام ١٨٩٢ إدارة مدرسة الشبان الإعدادية التي عرفت فيما بعد باسم الكلية الإنجليزية حيث استمر فيها حتى وفاته عام ١٩٢١. محمد عيسى صالحية: أعلام مقدسية: الدور الثقافي والحضاري وترقية الفكر الإنساني، ضمن كتاب "دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، تحرير محسن محمد صالح، بيروت، مركز الزيتونة، ٢٠١٠، ص ٦١.
- (٢) خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني، أخبار الانتداب وأسئلة الهوية ١٩١٩-١٩٢٢، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤، يومية الخميس ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩، الكتاب الثالث، ص ٥٠. أود الإشارة إلى أن يوميات خليل السكاكيني نشرت في ثمانية مجلدات (كتب) على مدار سبع سنوات، وحمل كل كتاب عنواناً خاصاً. وكان من بين الكتب الثمانية ثلاثة كتب (مجلدات) خصصت للرسائل فقط. وهي الكتاب الرابع والخامس والسادس التي صدرت خلال عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦. وقد غطى الكتاب الرابع الفترة ما بين ١٩٣١-١٩٣٢، بينما غطى الكتاب الخامس الفترة ما بين ١٩٣٣-١٩٣٤. أما الكتاب السادس فقد غطى الفترة ما بين ١٩٣٥-١٩٣٧. وستقتصر الإشارة إلى هذه الكتب الثلاثة خلال

- التوثيق منها فيما بعد بذكر تاريخ كتابة الرسالة واليوم والمكان ورقم الكتاب (المجلد أو الجزء) والصفحة. علماً أنه سيتم إيراد المعلومات البليوغرافية لكل كتاب لدى وروده في المرة الأولى فقط. عيسى الناعوري: خليل السكاكيني أديباً ومربياً، عمان، منشورات دار الكرمل، ١٩٨٥، ص ٢١.
- (٣) يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني - حياته، مواقفه وأثاره، الناصرة، ١٩٨٥، ص ٤٢.
- (٤) خليل السكاكيني: يوميات السكاكيني . النهضة الأورثوذكسية ، الحرب العظمى ، النفي إلى دمشق، ١٩١٤-١٩١٨ ، تحرير أكرم مسلم ، رام الله ، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية ، الكتاب الثاني ، ٢٠٠٤ . يومية الأحد ١٩ تموز ١٩٠٨ ، ك ٢ ، ص ٢٦٧.
- (٥) جهاد أحمد صالح: الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين - خليل السكاكيني ١٨٧٨-١٩٥٣، رائد التجديد في الحياة الأدبية في فلسطين، رام الله، منشورات الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، ٢٠١٠، ص ٧.
- (٦) يومية الأحد ١ كانون الثاني ١٩١١، ك ١، ص ٣٤٧. كذلك: يومية الاثنين ٢٨ تموز ١٩١٩، ك ٣، ص ١٩٨.
- (٧) يومية الاثنين ١٤ آب ١٩١٩، ك ٣، ص ٢٠٠.
- (٨) المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
- (٩) يوميات السكاكيني، بدون يومية، ك ٢، ص ١٩٥.
- (١٠) المصدر نفسه: يوميات ١١ آب ١٩١٩، ١١ أيلول ١٩١٩، ك ٣، ص ٢٠٢.
- (١١) يومية الثلاثاء ١٦ أيلول ١٩١٩، ك ٣، ص ٢٠١، أما الأعضاء الآخرون في العمدة فكانوا عارف الدجاني وإسماعيل الحسيني وسعيد الحسيني ومحمد الإمام، والقس إبراهيم باز وجورج سكسك.
- (١٢) ولد هربرت صموئيل في ليفربول سنة ١٨٧٠ من أبوين يهوديين، ليشغل أحد مراكز السلطة والنفوذ في الحكومة البريطانية، ففي أثناء عضويته في البرلمان عن حزب الأحرار خلال الفترة ١٩٠٢-١٩١٨، عُين وكيلاً لوزارة الداخلية عام ١٩٠٥، ومستشاراً لدوقية لانكستر عام ١٩٠٩، ومديراً عاماً للبريد عام ١٩١٠، ورئيساً لمجلس إدارة الحكومة المحلية

- عام ١٩١٤، ومستشاراً لدوقية لانكستر عام ١٩١٥، ووزيراً للداخلية عام ١٩١٦. وفي تموز عام ١٩٢٠ عُين أول مندوب سام بريطاني في فلسطين. وبقي في هذا المنصب عام ١٩٢٥. أنظر: سحر الهندي: التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي: فترة هربرت صموئيل ١٩٢٥-١٩٢٥، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣، ص ٨.
- (١٣) حداد: خليل السكاكيني، ص ٧٧.
- (١٤) حداد: خليل السكاكيني، ص ٨٨-٨٩. عبد القادر ياسين: خليل السكاكيني - هذا المثقف الموسوعي، مجلة صامد الاقتصادي، العدد ١٠٠-١٠٦، حزيران ٢٠٠٩، ص ١٢٦.
- (١٥) نجيب عازوري: يقظة الأمة العربية، ترجمة أحمد أبو ملحم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨، ص ١٧.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٥٦.
- (١٧) روجي الخالدي: ولد عام ١٨٦٤م في حي باب السلسلة بمدينة القدس من عائلة اشتهرت بالعلم والخدمة في المحاكم الشرعية في القدس وخارجها. درس المرحلة الابتدائية في القدس، ثم التحق بالمدرسة السلطانية في بيروت، وبعد أن تخرج منها عاد إلى القدس ثم التحق بالمكتب الملكي السلطاني في الأستانة. عُين عام ١٨٩٨ قنصلاً عاماً في مدينة بورود الفرنسية وبقي في هذا المنصب لمدة عشر سنوات، وبعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨ انتخب عضواً عن القدس في مجلس المبعوثان العثماني. توفي في فرنسا عام ١٩١٣. عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧، ص ١٢٧.
- (١٨) بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، كفر قرع، دار الهدى، ١٩٨٦، ص ٤١.
- (١٩) ولد نجيب نصار في قرية عين عنوب جنوب لبنان عام ١٨٦٥، عمل صيدلاناً في مدينة طبريا، بدأ نشاطه الصحفي في نهاية القرن التاسع عشر حيث شرع بالكتابة في صحيفتي المقطم القاهرية ولسان العرب البيروتية، وتركزت كتاباته بالتعريف على النشاط الصهيوني في فلسطين. أسس عام ١٩٠٨ صحيفة الكرمل في حيفا التي أوقفها على مناقشة أمور النشاط الصهيوني والصراع بين العرب واليهود وقد استمرت في

- الصدور حتى الحرب العالمية الثانية. توفي نصار عام ١٩٤٨ ودُفن في مدينة الناصرة.
رجا زعاتره (محرر): الهوية، الناصرة: د.ن، ٢٠١١، ص ٤٨.
- (٢٠) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٤١.
- (٢١) تم عقد هذا المؤتمر في ٢٩ آب ١٨٩٧ في مدينة بال أو بازل بسويسرا بزعامة ثيودور هرتسل، وكان أول مؤتمر للحركة الصهيونية. وقد حضره نحو مائتي عضو من أنحاء العالم. واتخذ هذا المؤتمر قراره الرئيس الذي نص على أن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمه القانون العام، وأقر أيضاً العلم الصهيوني والنشيد القومي. أنظر: عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥، ص ٤٨٣-٤٨٤.
- (٢٢) يومية الثلاثاء ١٧ شباط ١٩١٤، ص ٥٦.
- (٢٣) يومية الثلاثاء ١٧ شباط ١٩١٤، ك ٢، ص ٥٦.
- (٢٤) يومية الأربعاء ١٩ شباط ١٩١٩، ك ٣، ص ٨٣.
- (٢٥) يومية الاثنين ٢٣ شباط ١٩١٤، ك ٢، ص ٦١.
- (٢٦) إبراهيم أبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية – فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص ٢٢.
- (٢٧) يومية الاثنين ٢٣ شباط ١٩١٤، ك ٢، ص ٦٢.
- (٢٨) يومية السبت ٢٨ شباط ١٩١٤، ك ٢، ص ٦٦.
- (٢٩) يومية الأربعاء ١٨ شباط ١٩١٤، ك ٢، ص ٥٧.
- (٣٠) خليل السكاكيني : يوميات السكاكيني خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني، الانتداب وأسئلة الهوية ١٩١٩-١٩٢٢، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤، الكتاب الثالث، يومية الأربعاء ٥ كانون الثاني ١٩١٩، ص ٣٧.
- (٣١) محمد إسعاف النشاشيبي: أديب مقدسي ولد في مدينة القدس عام ١٨٨٥، وتلقى تعليمه في بداية حياته في الكتاتيب التعليمية في القدس، ثم التحق بمدرسة الفريز الفرنسية حيث أنهى فيها تعليمه الابتدائي والثانوي، وبعد ذلك أرسله والده للدراسة في بيروت مكث فيها أربع سنوات تتلمذ خلالها على يد كبار أساتذة اللغة العربية

ومنهم عبد الله البستاني، وبعد عودته إلى القدس انصرف للكتابة والأدب في العديد من المجالات كالأصمعي والنفائس والمنهل والرسالة والقاهرة والبلاغة والمقتطف وغيرها. عُين خلال الحرب العالمية الأولى أستاذاً للغة العربية في الكلية الصلاحية، وفي عام ١٩١٨ عُين أستاذاً للغة العربية أيضاً في المدرسة الرشيدية، ثم أصبح مديراً لها. ثم رُقّي فيما بعد إلى رتبة مفتش للغة العربية في دائرة المعارف وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٩. توفي إسعاف النشاشيبي عام ١٩٤٨ في مدينة القاهرة بعد أن ترك العديد من المؤلفات التي ترواحت ما بين الكتاب والبحث والمقالة والمحاضرة والخطبة. ومن أهم مؤلفاته: "الإسلام الصحيح" و"كلمة في اللغة العربية" و"ثقل الأديب" و"مقام إبراهيم" و"البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي" وغيرها من الكتب الأخرى. لمزيد من التفاصيل حول حياته أنظر: اسحق موسى الحسيني: أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، القدس، مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٨٧، ص ١٨-٢٥. محسن محمد صالح، (محرر): دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات، ٢٠١٠، ص ٧٥-٩٢. حسن عبد الرحمن السلوادي: أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي بين المحافظة والتجديد، مجلة جامعة القدس المفتوحة، القدس، مجلد ٢، العدد ٢٩، شباط ٢٠٠٣، ص ١٧٧-١٩٩.

(٣٢) يومية الأربعاء ٥ شباط ١٩١٩، ك ٣، ص ٧١. كذلك: يومية الخميس ١٦ كانون الثاني ١٩١٩، ك ٣، ص ٤١.

(٣٣) كامل محمود خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ١٩٢٢-١٩٣٩، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ١٦٢-١٦٣. ومما يذكر أن مسودة صك الانتداب البريطاني لفلسطين تمت تحت إشراف وايزمن وسوكولوف أبرز زعماء المنظمة الصهيونية. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ١٥٦.

(٣٤) واصف جوهرية: القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية، تحرير عصام نصار وسلم تماري، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٥، ج ٢، ص ٤٧٤.

(٣٥) يومية الخميس ١٩١٩/١/٣٠، ك ٣، ص ٦٤-٦٥.

(٣٦) يومية الأحد ١٩٢٠/٦/٢٨، ك ٣، ص ٢٢٣.

(٣٧) يومية الأربعاء ١٩٢٠/٦/٢٣، ك ٣، ص ٢٢٣.

- (٣٨) يومية الأحد ٢٤/٤/١٩١٩، ك٣، ص ١٣٤.
- (٣٩) يومية السبت ١/٢/١٩١٩، ك٣، ص ٦٦.
- (٤٠) خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني - رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا ١٩٣٣-١٩٣٤، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٦، رسالة الخميس ١٢/١١/١٩٣٣، القدس، الكتاب الخامس، ص ١٧٥.
- (٤١) رسالة الخميس ٢/١١/١٩٣٣-القدس، ك٥، ص ١٧٥.
- (٤٢) خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٢٤٤.
- (٤٣) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥، ص ٤٩٨. علي أكرم مهاني: العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين ١٩١٨-١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠، ص ١٠-١١.
- (٤٤) السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني، ك٣، ص ٢٨-٢٩ (مقدمة المحرر).
- (٤٥) رسالة الخميس ٤/٤/١٩٣١، القدس، ك٦، ص ٦٧.
- (٤٦) رسالة الثلاثاء ٩/٤/١٩٣٥، القدس، ك٦، ص ٦٩.
- (٤٧) خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني - رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا ١٩٣١-١٩٣٢، تحرير أكرم سليم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٥، الكتاب الرابع. السكاكيني: يوميات السكاكيني، رسالة الخميس ٢٩/١٢/١٩٣٢، القدس، ك٤، ص ٣٩٢.
- (٤٨) رسالة الخميس ٦/١٢/١٩٤٢، القدس، ك٥، ص ٣٨٣.
- (٤٩) رسالة الخميس ١١/١٢/١٩٣٤، طبريا، ك٥، ص ٣٨٧.
- (٥٠) خليل السكاكيني: الجديد في القراءة العربية، القدس، مطبعة بيت المقدس، ١٩٤٥، ج ٤، ص ١٠٤.
- (٥١) خليل السكاكيني: الجديد في القراءة العربية، القدس، المطبعة العصرية، ١٩٥١، ج ٢، ص ٥٢.
- (٥٢) رسالة الثلاثاء ٢٨/٥/١٩٣٥، القدس، ك٥، ص ٩٣.

- (٥٣) خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني – رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا ١٩٣٥-١٩٣٧، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مركز خليل السكاكيني الثقافي في مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٦، الكتاب السادس، رسالة الثلاثاء ١٩٣٥/٧/٢، القدس، ص ١١٦.
- (٥٤) رسالة الثلاثاء ١٩٣٥/١١/٢٦، القدس، ك٦، ص ١٧٧.
- (٥٥) المصدر نفسه، الرسالة نفسها.
- (٥٦) رسالة الخميس ١٩٣٥/١١/٢٨، القدس، ك٦، ص ١٧٨.
- (٥٧) رسالة السبت ١٩٣٦/١/٤، القدس، ك٦، ص ١٩٤.
- (٥٨) رسالة السبت ١٩٣٦/١/١١، القدس، ك٦، ص ١٩٧.
- (٥٩) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٣/٣١، ك٦، ص ٢٣٠.
- (٦٠) رسالة السبت ١٩٣٦/٤/٤، القدس، ك٦، ص ٢٣١.
- (٦١) محمد ماجد الحزماوي: ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨- بغداد، مكتبة دجلة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠، ص ١٧٦.
- (٦٢) المرجع نفسه: ص ١٧٦.
- (٦٣) بيان نويهض الحوت: المؤسسات والقيادات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦، ص ٢٤١.
- (٦٤) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٤٣.
- (٦٥) رسالة ميليا السكاكيني إلى سري، الثلاثاء ١٩٣١/١٢/٢٦، القدس، ك٤، ص ١٢٥.
- (٦٦) صحيفة الصراط المستقيم: أصدرها الشيخ عبد الله القلقيلي في يافا عام ١٩٢٤، وهي صحيفة أسبوعية، وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٨. عادل غنيم: الصحافة العربية الفلسطينية ومواقفها في القضية الفلسطينية ١٩٠٨-١٩٣٦، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ٨، ١٩٨٥، ص ٣٢٤.
- (٦٧) صحيفة مرآة الشرق: وهي صحيفة سياسية كانت تصدر مرتين في الأسبوع، وقد بدأت في الصدور في شهر أيلول ١٩١٩، وصاحبها بولس شحاده، وصدرت في أول عهدها باللغتين العربية والإنجليزية، وتولى رئاسة تحريرها أكرم زعيتر، وحرر القسم العربي فيها أحمد الشقيري، أوقفتها السلطات البريطانية عام ١٩٣٩ بسبب نشرها قصيدة حث

- فيها كاتبها على الثورة والتمرد ضد الإنجليز. يوسف الخوري: الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦-١٩٤٨، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص ٢٨-٢٩.
- (٦٨) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٤٤.
- (٦٩) رسالة الأحد ١٣/١٢/١٩٣١، القدس، ك، ص ١١٨. الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٤٥.
- (٧٠) جوهريّة: القدس الانتدابية، ج ٢، ص ٣٢٢-٣٢٣.
- (٧١) رسالة الأحد ١٣/١٢/١٩٣١، القدس، ك، ص ١١٨.
- (٧٢) رسالة ميليا السكاكيني، السبت ٢٦/١٢/١٩٣١، القدس، ك، ص ١٢٥.
- (٧٣) يوميات السكاكيني، مقدمة المحرر، ك، ص ٣، ص ٢٧.
- (٧٤) تم منح هذا الامتياز في ١٢ أيلول ١٩٣١ لليهودي بنحاس روتنبرغ حيث خول الحق باستخدام مياه حوض العوجا والأردن واليرموك لتوليد الطاقة الكهربائية، ووقعه بالنيابة عن الحكومة البريطانية هربرت صموئيل بصفته المندوب السامي، وكانت مدة هذا الامتياز ٣٢ سنة. وبموجبه خول المندوب السامي سلطة نزع ملكية أية أرض أو أبنية بناءً على طلب صاحب الامتياز. صالح مسعود بويسير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، رام الله، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠١، ص ١١٦.
- الحرماوي: ملكية الأراضي في فلسطين، ص ٢٨٢-٢٨٣.
- (٧٥) حداد: خليل السكاكيني، ص ١٥٨.
- (٧٦) قرية وادي حنين: تقع فوق رقعة منبسطة في أرض السهل الساحلي على مسافة ٧ كم إلى الغرب من مدينة الرملة و١٨ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا. ترتفع عن سطح البحر ٥٠ متراً. مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، كفر قرع، دار الهدى، ٢٠٠٢، ق ٢، ج ٤، ص ٤٩٩. سعيد إبراهيم الحسيني: من ذكرياتي عن العام ١٩٤٨، حوليات القدس، العدد ١٣، صيف ٢٠١٢، ص ٤٨.
- (٧٧) قرية لفتا: وتقع على مسافة ٢ كم شمال غرب مدينة القدس. الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ١٠٢. نقولا أبو حمود: معجم المواقع الجغرافية في فلسطين، القدس، جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٤، ص ١٨٥.
- (٧٨) رسالة الأحد ١٣/١٢/١٩٣١، القدس، ك، ص ١١٨.

- (٧٩) رسالة الأحد ١٣/١٢/١٩٣١، القدس، ك، ص ١١٨. الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٤٦-٢٤٧. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٥١٠.
- (٨٠) خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٣٣٦-٣٣٧.
- (٨١) رسالة السبت ١١/٥/١٩٣٢، القدس، ك، ص ٣٥٨.
- (٨٢) رسالة الخميس ٢/١١/١٩٣٣، القدس، ك، ص ٢٧٦.
- (٨٣) رسالة الخميس ٢٧/٤/١٩٣٣، القدس، ك، ص ٩٢.
- (٨٤) رسالة الخميس ١٤/٤/١٩٣٢، القدس، ك، ص ٢٢.
- (٨٥) رسالة السبت ٥/١١/١٩٣٢، القدس، ك، ص ٣٥٨.
- (٨٦) حسين فخري الخالدي: مذكرات حسين الخالدين - ومضى عهد المجاملات، رام الله: دار الشروق، ٢٠١٤، ١م، ص ١٩٢. عدنان أحمد حسن أبو شيكة: "مظاهرات فلسطين في جريدة البلاغ المصرية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع ٢٤، ٢٠١٧، ص ٢٧١. الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٩١.
- (٨٧) عدنان أبو شيكة: مظاهرات ١٩٣٣، ص ٢٧٣.
- (٨٨) رسالة الثلاثاء ٣١/١٠/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٧٥.
- (٨٩) رسالة السبت ٢٨/١٠/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٧٢-١٧٣.
- (٩٠) رسالة الخميس ٧/١٢/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٩٣.
- (٩١) رسالة السبت ٢٨/١٠/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٧٣.
- (٩٢) رسالة الاثنين ٣٠/١٠/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٧٤. وهذه الأبيات من قصيدة بعنوان سلي الرماح للشاعر العراقي صفي الدين الحلّي، قالها يفتخر بقومه وأخذهم بثأر خاله صفي الدين بن محاسن من آل أبي الفضل حيث قتل بمسجده غدراً . ومطلع هذه القصيدة:
- سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهد البيض خاب الرجا فينا
وسائلي العرب والأترك ما فعلت في أرض قبر عبيد الله أيدينا
- أنظر: صفي الدين الحلّي: ديوان صفي الدين الحلّي، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٩، ص ٢٠-٢٢.
- (٩٣) رسالة الثلاثاء ٢٨/١١/١٩٣٣
- (٩٤) رسالة الثلاثاء ٣١/٥/١٩٣٣، القدس، ك، ص ١٧٤.

- (٩٥) رسالة السبت ١٩٣٣/١١/٤، القدس، ك٥، ص ١٧٧.
- (٩٦) رسالة السبت ١٩٣٣/١١/٤، القدس، ك٥، ص ١٧٧.
- (٩٧) رسالة الثلاثاء ١٩٣٣/١٠/٣١، القدس ك٥، ص ١٧٤.
- (٩٨) رسالة السبت ١٩٣٣/١١/٤، القدس، ك٥، ص ١٧٧.
- (٩٩) رسالة السبت ١٩٣٣/١١/٤، القدس، ك٥، ص ١٧٧.
- (١٠٠) رسالة السبت ١٩٣٣/١٢/١٩، القدس، ك٥، ص ١٩٤.
- (١٠١) رسالة السبت ١٩٣٣/١٢/٩، القدس، ك٥، ص ١٩٥.
- (١٠٢) تنتسب عائلة الحسيني في مدينة القدس إلى بدر الدين بن محمد الحسيني من أحفاد الحسين بن علي الذي سكن في قرية شرفات جنوب غرب مدينة القدس. أما أول من استوطن القدس من هذه العائلة فكان الحفيد الآخر تاج الدين أبو الوفا عام ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، وغدت القدس فيما بعد مقراً لتلك العائلة، وقد اتخذت ألقاباً متعددة منها البدري وأبو الوفا والوفاء أو الوفاي وغضية. وتمكنت هذه العائلة خلال العهد العثماني من احتكار وظائف القضاء والإفتاء ونقابة الأشراف، ومشيخة الحرم الشريف، ورئاسة المؤذنين، وأمانة مفتاح كنيسة القيامة. أنظر: أسماء جاد الله خصاونة: عائلات القدس المتنفة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، عمان، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠٦، ص ٥-٦. عادل مناع: النخبة المقدسية - علماء المدينة وأعيانها، حويات القدس، العدد الخامس، ربيع ٢٠٠٧، ص ١١-١٢.
- (١٠٣) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٢٩٩.
- (١٠٤) جوهريّة: القدس الانتدابية، م ٢، ص ٤٥٤. جاء النص الحرفي للمادة الثانية والعشرون من الصك: "تكون الإنجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين، وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب أن تتكرر بالعبرية، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية".
- (١٠٥) جوهريّة: القدس الانتدابية، م ٢، ص ٤٥٤. فوفقاً لجوهريّة كان يمتلك سيارة فخمة من نوع روز روبز وهي من أجود وأفخم السيارات العالمية، ولم يكن في مدينة القدس سيارة من هذا النوع سوى سيارة حاكم القدس رونالد ستورز.
- (١٠٦) الخالدي: مذكرات حسين الخالدي، م ١، ص ١٨٩.

- (١٠٧) المصدر نفسه، م، ١، ص ١٩٠.
- (١٠٨) عرفت هذه العائلة باسم الديري الخالدي العبسي، فالديري نسبة إلى قرية الدير من قرى جبل نابلس، والخالدي نسبة إلى خالد بن الوليد، أما العبسي فكان نسبة إلى طائفة بني عبس من عرب الحجاز. احتلت هذه العائلة مكانة هامة بين علماء القدس وأعيانها خلال أجيال متتالية. وارتكز مصدر نفوذها في المحكمة الشرعية على نواباً للشرع وكتاباً ورؤساء لكتاب المحكمة (باشكاتب). الخصاونة: عائلات القدس، ص ٨. مناع: النخبة المقدسية، ص ١٩-٢٠.
- (١٠٩) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٠٠.
- (١١٠) رسالة السبت ١٩٣٤/٩/٢٢، القدس، ك٥، ص ٣٥٤.
- (١١١) رسالة الخميس ١٩٣٤/١٠/٤، القدس، ك٥، ص ٣٥٩.
- (١١٢) رسالة الخميس ١٩٣٤/٩/٢٨، القدس، ك٥، ص ٣٥٦.
- (١١٣) رسالة الخميس ١٩٣٤/١٠/٤، ك٥، ص ٣٥٩.
- (١١٤) رسالة الخميس ١٩٣٤/٩/٢٨، القدس، ك٥، ص ٣٥٦.
- (١١٥) رسالة الخميس ١٩٣٤/١٠/٤، القدس، ك٥، ص ٣٥٩.
- (١١٦) الخالدي: مذكرات حسين الخالدي، م، ١، ص ١٩١.
- (١١٧) المصدر نفسه، م، ١، ص ١٩١.
- (١١٨) رسالة الثلاثاء ١٩٣٥/١/١٥، القدس، ك٦، ص ٢٧٦.
- (١١٩) محسن محمد صالح: التيار الإسلامي في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص ٢٣١. حسني أدهم جرار: الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية ١٨٨٢-١٩٣٥، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٣-٢٥.
- (١٢٠) جرار: الشيخ عز الدين، ص ٤٥.
- (١٢١) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٢٤. صالح: التيار الإسلامي، ص ٢٥١.
- (١٢٢) قرية يعبد: تقع على بُعد ١٨ كم جنوب غرب جنين، وترتفع عن سطح البحر ٣٧٠ متراً. الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، ق ٢، ص ٩٦. الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، أربع مجلدات، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤، ج ٤، ص ٦٣١.

- (١٢٣) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٢٠. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٥٩٣.
جرار: الشيخ عز الدين القسام، ص ١١٧-١١٩. صالح: التيار الإسلامي، ص ٣٠١.
(١٢٤) رسالة الخميس ١٩٣٥/١١/٢١، م ٦، ص ١٧٤.
(١٢٥) جريدة فلسطين، العدد ٢٢٤-٣١٠٨، ٢١ تشرين ثاني ١٩٣٥، ص ٤-١.
(١٢٦) رسالة السبت ١٩٣٥/١١/٢٣، م ٦، ص ١٧٦.
(١٢٧) جريدة فلسطين، العدد ٢٢٥-٣١٠٩، ٢٢ تشرين ثاني ١٩٣٥، ص ١.
(١٢٨) خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٣٣٧.
(١٢٩) المرجع نفسه، ص ٣٤٣.
(١٣٠) المرجع نفسه: ص ٣٤٣.
(١٣١) رسالة الثلاثاء ١٩٣٤/٨/٢١، القدس، ك ٥، ص ٣٣٩.
(١٣٢) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٦/١٦، القدس، ك ٦، ص ٢٦٤.
(١٣٣) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٦/٣٠، القدس، ك ٦، ص ٢٦٩.
(١٣٤) رسالة السبت ١٩٣٦/٥/٢٠، القدس، ك ٦، ص ٢٤٣.
(١٣٥) رسالة السبت ١٩٣٦/٥/٩، القدس، ك ٦، ص ٢٤٩.
(١٣٦) رسالة السبت ١٩٣٦/٥/٢٣، القدس، ك ٦، ص ٢٥٧.
(١٣٧) رسالة الثلاثاء ١٩٣٤/٧/١٠، القدس، ك ٥، ص ٣٢١.
(١٣٨) رسالة الخميس ١٩٣٤/١٢/١٣، القدس، ك ٥، ص ٣٨٩.
(١٣٩) رسالة الخميس ١٩٣٥/١/١٠، القدس، ك ٦، ص ٢٥.
(١٤٠) عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠، ص ٢٦٢. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٦٠٨.
(١٤١) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٣٢.
(١٤٢) رسالة السبت ١٩٣٦/٤/١٨، القدس، ك ٦، ص ٢٣٦.
(١٤٣) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٨/١١، القدس، ك ٦، ص ٢٨٢.
(١٤٤) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٤/٢، القدس، ك ٦، ص ٢٣٨.
(١٤٥) السبت ١٩٣٦/٦/٢٥، القدس، ك ٦، ص ٢٣٩.
(١٤٦) خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٦٩. الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٣٤.

- (١٤٧) رسالة الخميس ١٩٣٦/٥/٧، القدس، ك٦، ص ٢٨٤.
- (١٤٨) رسالة الخميس ١٩٣٦/٥/١٤، القدس، ك٦، ص ٢٥١. جزار: الشيخ عز الدين القسام، ص ١٦٧.
- (١٤٩) رسالة السبت ١٩٣٦/٥/١٦، القدس، ك٦، ص ٢٥٣.
- (١٥٠) رسالة الأربعاء ١٩٣٦/٦/١٠، القدس، ك٦، ص ٢٦٢.
- (١٥١) رسالة الأحد ١٩٣٦/٦/٢٨، القدس، ك٦، ص ٢٦٩.
- (١٥٢) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٦/٣٠، القدس، ك٦، ص ٢٧٠.
- (١٥٣) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٧/٢١، القدس، ك٦، ص ٢٧٧.
- (١٥٤) رسالة الأحد ١٩٣٦/٦/٢٨، القدس، ك٦، ص ٢٥٤.
- (١٥٥) رسالة الخميس ١٩٣٦/٥/١٤، القدس، ك٦، ص ٢٥١.
- (١٥٦) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٥/٢٦، القدس، ك٦، ص ٢٥٧.
- (١٥٧) رسالة الخميس ١٩٣٦/٥/١٤، القدس، ك٦، ص ٢٥١.
- (١٥٨) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٥/١٢، القدس، ك٦، ص ٢٥٠. خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٦٢٦-٦١٧.
- (١٥٩) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٥/١٢، القدس، ك٦، ص ٢٥٠.
- (١٦٠) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٥/١٥، القدس، ك٦، ص ٢٤٣.
- (١٦١) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٦/٣٠، القدس، ك٦، ص ٢٧٢.
- (١٦٢) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٥٢.
- (١٦٣) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٧/٢١، القدس، ك٦، ص ٢٧٧.
- (١٦٤) رسالة الخميس ١٩٣٦/٩/٢٤، القدس، ك٦، ص ٢٧٩.
- (١٦٥) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٧/٧، القدس، ك٦، ص ٢٧٣.
- (١٦٦) رسالة الثلاثاء ١٩٣٦/٦/٣٠، القدس، ك٦، ص ٢٧٠.
- (١٦٧) ويذكر جوهريّة أن عدد البيوت في هذا الحي بلغ ٢٠٠٠ بيت وتقيم فيه ١٢ ألف نسمة، وقد رفع العرب قضية على حكومة الانتداب، وكان قاض القضاة آنذاك فرنسيس مكدونل الذي أصدر حكماً أدان فيه الحكومة، غير أنه عوقب بأن نقل من مكانه. جوهريّة: القدس الانتدابية، م٢، ص ٥٤٩.

- (١٦٨) رسالة السبت ١٩/٩/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٩٦.
- (١٦٩) رسالة الثلاثاء ٢١/٧/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٣٩.
- (١٧٠) رسالة السبت ٢٥/٤/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٣٩.
- (١٧١) رسالة الأحد ٢٣/٨/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٨٨.
- (١٧٢) إبراهيم أبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص ٦٦-٦٧.
- (١٧٣) رسالة الأربعاء ١٦/٩/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٩٤.
- (١٧٤) ورد هذا البيت ضمن معلقة الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم ومطلعها:
ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا
حول النص الكامل للمعلقة أنظر: عبد العزيز محمد جمعة: المعلقات السبع، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٣، ص ٧٢-٨٦. محمد علي الحسيني: ديوان العرب: المعلقات - معلقة عمرو بن كلثوم، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ٢٠١٢، ص ١٩-٧٠.
- (١٧٥) رسالة السبت ٢٤/١٠/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٣٠٩.
- (١٧٦) رسالة الثلاثاء ١٦/٦/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٦٤.
- (١٧٧) رسالة الثلاثاء ١/٨/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٨٦.
- (١٧٨) رسالة السبت ١٧/١٠/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٣٠٤.
- (١٧٩) فيصل حوراني: جذور الرفض الفلسطيني، رام الله، بدون تاريخ، ص ١٠٨. الحزماوي: ملكية الأراضي، ص ٢٧٤.
- (١٨٠) الحزماوي: ملكية الأراضي، ص ٦٦٧.
- (١٨١) خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٦٢١.
- (١٨٢) المرجع نفسه، ص ٦٢٢.
- (١٨٣) رسالة السبت ١٦/٥/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٥٣.
- (١٨٤) رسالة الثلاثاء ٢٦/٥/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٥٣.
- (١٨٥) رسالة السبت ١٦/٥/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٥٨.
- (١٨٦) رسالة السبت ١٣/٦/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٦٢.

(١٨٧) نظام عزت العباسي: السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية، نابلس، ٢٠٠٩، ص ١٣٦. ويذكر السكاكيني في رسالة لابنه مؤرخة في يوم الأربعاء ١٦/٩/١٩٣٦ وصول فوزي القاوقجي على فلسطين وأبطال عرب آخرون من العراق وسوريا انضموا إلى لوائه، ويدي السكاكيني فخر الأمة واعتزازها بهؤلاء الثوار فيقول "وحقك يا سري أن تفخر أن يكون في أمتك أبطال، بعد أن كاد الناس يعتقدون أنها عقت فلا تنجب أبطالاً، الا شكراً للأزمات فإنها تخلق الأبطال، وإن أمة فيها أمثال هؤلاء الأبطال لأمة حيّة لا خوف عليها ولا هي تحزن". رسالة الأربعاء ١٦/٩/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٢٩٤.

- (١٨٨) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٥٧. العباسي: السياسة الداخلية، ص ١٣٧.
- (١٨٩) عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، القدس، ١٩٣٧، ص ١٧٥. إبراهيم أبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية، ص ٦٨-٦٩.
- (١٩٠) رسالة السبت ١٠/١٠/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٣٠٤.
- (١٩١) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٧٥٢. خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ص ٦٥٢.
- (١٩٢) رسالة السبت ١٧/١٠/١٩٣٦، القدس، ك٦، ص ٣٠٤.
- (١٩٣) تشكلت اللجنة من ستة أشخاص برئاسة اللورد بيل من حزب المحافظين والذي كان قد شغل منصب وزير دولة لشؤون الهند، وكان نائبه السير هوراس رامبولد حيث عمل سفيراً لبريطانيا في برلين، كما ضمت السير كوري هاموند الذي كان له خبرة طويلة في الهند، وكل من السير ويليام كارتر والسير هارولد موريس من أبرز رجالات القانون في بريطانيا، أما العضو الأخير فكان يد جينا "أستاذ التاريخ في جامعة أكسفورد. الحزماوي، ملكية الأراضي في فلسطين، ص ٥٢٠.
- (١٩٤) الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٣٦٠.
- (١٩٥) رسالة الثلاثاء ١٢/١/١٩٣٧، القدس، ك٦، ص ٣٣٧.
- (١٩٦) رسالة الثلاثاء ١٩/١/١٩٣٧، القدس، ك٦، ص ٣٤١.
- (١٩٧) رسالة الخميس ٨/٧/١٩٣٧، القدس، ك٦، ص ٣٩٤.
- (١٩٨) الحزماوي: ملكية الأراضي، ص ٥٢٣-٥٢٦.

(١٩٩) أنظر النص الكامل لمذكرة اللجنة العربية العليا على تواصي اللجنة الملكية وبيان الحكومة البريطانية في : الحوت: القيادات والمؤسسات، ص ٧٥٣-٧٦٠.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم أبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية - فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧.
- ٢- اسحق موسى الحسيني: أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، القدس، مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٨٧.
- ٣- أسماء جاد الله خصاونة: عائلات القدس المنتفذة في النصف الأول من القرن الثامن عشر، عمان، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، ٢٠٠٦.
- ٤- بيان نويهض الحوت: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، كفر قرع، دار الهدى، ١٩٨٦.
- ٥- جهاد أحمد صالح: الرواد المقدسيون في الحياة الفكرية والأدبية في فلسطين - خليل السكاكيني ١٨٧٨-١٩٥٣، رائد التجديد في الحياة الأدبية في فلسطين، رام الله، منشورات الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، ٢٠١٠.
- ٦- حسن عبد الرحمن السلواوي: أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي بين المحافظة والتجديد، مجلة جامعة القدس المفتوحة، القدس، مجلد ٢، العدد ٢٩، شباط ٢٠٠٣.
- ٧- حسني أدهم جرار: الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهد قضية ١٨٨٢-١٩٣٥، عمان، دار الضياء للنشر والتوزيع، ١٩٨٩.
- ٨- حسين فخري الخالدي: مذكرات حسين الخالدين - ومضى عهد المجاملات، رام الله: دار الشروق، ٢٠١٤.
- ٩- خليل السكاكيني: الجديد في القراءة العربية، الجزء الرابع، القدس، مطبعة بيت المقدس، ١٩٤٥.
- ١٠- خليل السكاكيني: الجديد في القراءة العربية، الجزء الثاني، القدس، المطبعة العصرية، ١٩٥١.
- ١١- خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني: أخبار الانتداب وأسئلة الهوية ١٩١٩-١٩٢٢، الكتاب الثالث، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤.
- ١٢- خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني: رسائل خليل السكاكيني إلى ولده سري في أمريكا ١٩٣٣-١٩٣٤، الكتاب الخامس، تحرير أكرم مسلم، رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل السكاكيني الثقافي، ٢٠٠٦.

- ١٣- خليل السكاكيني: يوميات خليل السكاكيني، رسائل خليل إلى سري في أمريكا ١٩٣١-١٩٣٢، الكتاب الرابع، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٥.
- ١٤- خليل السكاكيني: يوميات السكاكيني: رسائل خليل السكاكيني إلى سري في أمريكا ١٩٣٥ - ١٩٣٧، الكتاب السادس، تحرير أكرم مسلم، رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠٦.
- ١٥- خليل السكاكيني: يوميات السكاكيني: النهضة الأرثوذكسية - الحرب العظمى - النفي إلى دمشق ١٩١٤-١٩١٨، الكتاب الثاني، تحرير أكرم مسلم، رام الله: مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٤.
- ١٦- رجا زعاتره (محرر): الهوية، الناصرة: دن، ٢٠١١.
- ١٧- سحر الهندي: التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي: فترة هربرت صموئيل ١٩٢٠-١٩٢٥، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٣.
- ١٨- سعيد إبراهيم الحسيني: من ذكرياتي عن العام ١٩٤٨، حوليات القدس، العدد ١٣، صيف ٢٠١٢.
- ١٩- صالح مسعود بوبصير: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، رام الله، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ٢٠٠١.
- ١٩- صفى الدين الحلبي: ديوان صفى الدين الحلبي، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٩.
- ٢١- عادل غنيم: الصحافة العربية الفلسطينية ومواقفها في القضية الفلسطينية ١٩٠٨-١٩٣٦، حولة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد ٨، ١٩٨٥.
- ٢٢- عادل مناع: أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.
- ٢٣- عادل مناع: النخبة المقدسية - علماء المدينة وأعيانها، حوليات القدس، العدد الخامس، ربيع ٢٠٠٧.
- ٢٤- عبد العزيز محمد جمعة: المعلقات السبع، الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٣.
- ٢٥- عدنان أحمد حسن أبو شبيكة: "مظاهرات فلسطين في جريدة البلاغ المصرية"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع ٢٤، ٢٠١٧.
- ٢٦- عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.
- ٢٧- علي أكرم مهاني: العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين ١٩١٨-١٩٣٦، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠.

- ٢٨- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.
- ٢٩- عيسى الناعوي: خليل السكاكيني أديباً ومربياً، عمان، منشورات دار الكرمل، ١٩٨٥.
- ٣٠- عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، القدس، ١٩٣٧.
- ٣١- فيصل حوراني: جذور الرفض الفلسطيني، رام الله، بدون تاريخ.
- ٣٢- كامل محمود خلة: فلسطين والانتداب البريطاني، ١٩٢٢-١٩٣٩، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.
- ٣٣- محسن محمد صالح: دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات، ٢٠١٠.
- ٣٤- محسن محمد صالح: التيار الإسلامي في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٨٨.
- ٣٥- محمد علي الحسيني: ديوان العرب: المملكات - مملكة عمرو بن كلثوم، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ٢٠١٢.
- ٣٦- محمد ماجد الحزماوي: ملكية الأراضي في فلسطين ١٩١٨-١٩٤٨. بغداد، مكتبة دجلة للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.
- ٣٧- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ١٠ أجزاء، كفر قرع، دار الهدى، ٢٠٠٢.
- ٣٨- الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، أربع مجلدات، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤.
- ٣٩- نجيب عازوري: يقظة الأمة العربية، ترجمة أحمد أبو ملحم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨.
- ٤٠- نظام عزت العباسي: السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية، نابلس، ٢٠٠٩.
- ٤١- نقولا أبو حمود: معجم المواقع الجغرافية في فلسطين، القدس، جمعية الدراسات العربية، ١٩٨٤.
- ٤٢- واصف جوهري: القدس الانتدابية في المذكرات الجوهرية، تحرير عصام نصار وسلم تماري، القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية، ٢٠٠٥.
- ٤٣- يوسف أيوب حداد، خليل السكاكيني - حياته، مواقفه وأثاره، الناصرة، ١٩٨٥.
- ٤٤- يوسف الخوري: الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦-١٩٤٨، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨.